AL TAREEK AL THAKAFI
الطريق الثقافي
NO. 89
12 صفحة
500 دينار
السبت 5 نيسان/ أبريل 2014 5 April

نمط 2
دار صافي للنشر
تجربة تستحق التأمل
ـــــــ الطريق الثقافي

دراسة 3
جامعاتنا
نقد متأخر
ـــــــ أ. د. طالب مهدي

شعر 4
ليلة انقراض الرجل الأخير
ـــ ماجدة غضبان المشلب
الخريف
ـــــــــ وديع شامخ

قصة 5
مكالمة هاتفية
ـــــ عبد الهادي السعدون

بحث 6
إشكالية الوعي الملتبس
ـــــــــ ثامر عباس

نقد 7
حنون مجيد
التكثيف السردي
ـــــــ عبد العزيز لازم

قراءة 8
ليلى لعيبي
خطابات مرهفة
برغم المعاناة
ـــــــ جاسم العايف

حوار 10
سمير الشيخ
التاريخ هو تقدم
الوعي بالحرية
ـــــــ سعدون هليل

تشكيل 12
إسماعيل خياط
الوجوه والأقنعة

Mohamad Hayawi

ترجمة
رواية الكاتب الهولندي هاري مولش
بين المطرقة والسندان

ثقافة الطريق

بعيداً عن الدوران

الجمال الذي تتمتع به المثالية هو جمال ايحائي لا يمتلك وحدَهُ دائماً سنداً يُعتمَد في المحاججة العقلية. هذا الجمال يغري الانسان الواقعي فيسحبه الى عوالمه. معنى هذا انه يُفقدُ العقل العملي بعضاً من قواه واحياناً يحل مكانه فلا يواصل تقدمه بالقوة العمَلية نفسها بسبب من "الارتياح السامي" أو النقي أو "الارث الاجمل" .. هذه الظاهرة تظهر لنا بين حين وآخر في "استرخاء" او قل بمزيد من الاحترام، في "تأملات" بعض من الفنانين و "اللاواقعيين" من الشعراء.

وهذه الحال هي وجه آخر لما تسميه الفلسفة بـ لحظات قبل التماهي، أي تماهي النظري بالعملي أو العملي بالنظري. النظرية في حال كهذه لا تبتعد عن المثال طيلة بقائها خارج التطبيق. طبعاً للتمتع بروح الفن او ظلال التأمل تظل نظريات المتأمل عادةً غير واضحة الحدود والتفاصيل. هي نظرية إذن أو نظريات عائمة يفيد من ايحائاتها ومما تمنح من اجواء بعيدة عن "خشونة" الحياة.

لذلك يصف الواقعيون العمليون المتأملين بأنهم مثاليون. وهو وصف صحيح في المُجمل وغير دقيق فكرياً.

في منطقة الظل هذه يهيمن الانفعال من اجل استقلال الأنا أو من أجل حضورها الاقوى. إذ تظل الأنا تؤكد حضورَها مادمنا في طريق التأمل الذاتي بعيداً عن العملي وشروط الانجاز. فتظل الافكار تدور في فلك التصورات النظرية ضمن، او على حدود، مملكة الخيال الشخصي.

هذه الحال قد تحدد موقفنا الفلسفي من الوجود والوعي العام لكنها من ناحية ثانية، وعلى مدى واسع، تؤجل الانتقال الى العملي وقد تحرفه. وهكذا نظل في محطات قبل الوصول.

ما أردت الحديث بمنطق فلسفي لكني أردت الوصول إلى ان مثاليتنا، بسبب فرط الذاتية او بسبب فرط القداسة الموروثة، تفرض ظلالها على عقلنا العملي ورؤيتنا الواقعية فتخلخل قوة العقل الأدائي ويرتبك بسبب ذلك الانجاز. وإذا ما أنجز الفعل، لا يتحقق كامل الغرض من هذا الانجاز .

لكن يمكن الإفادة من هذي الحال بأن نضع أملَنا في التأمل المعرفي، أي بترسيخ المعارف المُسْتَدْرَجة بالتأمل، لتغذية العقل العملي. أي نحولها او نفيد منها كمادة ثقافية. فتصبح الأفكار الذاتية ومعها دائماً المصالحُ الذاتية ضمن المدى الاجتماعي. فلا تظل، أو لن تكون، عيوباً أخلاقية . هي في الحال الجديد، فلسفياً وواقعياً، مصالح اجتماعية مادام التطبيق هو عملية إنتاج جدوى عامة.

وهذا يعني ان المصلحة في الحفاظ على الحياة وفي أغناء الحياة وتطويرها، تتلازم تاريخياً مع العقلي ضمن حياة منظّمة من خلال المعرفة وتطبيقاتها والمعرفة وتطبيقها يقومان باعادة انتاج الحياة.

ان أية نظرية لاقدرة لها على الامتثال للتطبيق، تتوقف. وحين تتوقف يتوقف عمل العقل معها. وهذا هو ما يدعونا لفكر انساني يوفّر حرية حراك وتجدد للنظرية من خلال الممارسة الحرة والمتقدمة. ان افتقاد هذا الشرط، شرط حرية الفكر، يُبقي العقل معزولاً عن النظرية المتكافلة مع الاحتياجات الاجتماعية، ايضا مع استمرارية التطور المعرفي. فالعقل هنا يعمل بطاقة المستجدات !

العقل العملي، الجديد، لا ينجز فعلا جديداً الا اذا امتلك نظرية جديدة، أو متطورة، ليدخلا معاً في التجربة او في ممارسة التطبيق ومنها الى تأمل نظري جديد وممارسة حياتية جديدة. هذا هو خط التطور، والا فالارتباك او الخمول او الدوران في المكان ...

ياسين طه حافظ

في كتب.. شعرية الشر في رواية "الرؤى والأمكنة" لزيد الشهيد ـــ د. فاضل عبود التميمي 11

العراق يشارك فى مؤتمر الرواية بالإسكندرية عبر الفيديو

الطريق الثقافي- خاص

فى تجربة جديدة من نوعها، تنقل كلية التربية بجامعة واسط بالعراق، وقائع مؤتمر الرواية والمدينة فى الأدب المصرى والمغربى، إذ يشارك أساتذة وأدباء من العراق فى المناقشات وأيضا ببعض الكلمات، من خلال تقنية "الفيديو كونفرنس" والبث المباشر. يبدأ المؤتمر فى الخامسة مساء بمركز المؤتمرات بمكتبة الإسكندرية، ويبدأ يقام المؤتمر، الذي يقام على هامش الفعاليات الثقافية لمعرض مكتبة الإسكندرية للكتاب، بكلمة للدكتور طالب الوائلى رئيس جامعة واسط العراقية، وبعدها تبدأ الجلسة الأولى للمؤتمر لمناقشة الناقد شوقى بدر يوسف لرواية "الأيام الباردة" لمحمد غرناط، ومناقشة د. عبد الرحمن الغانمى لرواية "متاهة الغربان" لأحمد حميدة، ومناقشة الناقدة فاطمة عبد الله لرواية "نجمة ترقص معى" للميلودى شغموم. وسيفتتح الجلسة الثانية الدكتور محمد عبد الحميد بقراءة لرواية "أن ترحل" للطاهر بن جالون، وبعده الناقد شعيب حليفى بقراءة لرواية "الحب والزمن" لسعيد سالم.

"بيت الحكمة" يفوز بجائزة زايد للنشر والتقنيات الثقافية

الطريق الثقافي- خاص

كشفت لجنة جائزة الشيخ زايد للكتاب، عن أسماء الفائزين بجوائز دورتها الثامنة. وأعلنت عن فوز "بيت الحكمة"، وهي مؤسسة فكرية تونسية، بجائزة الشيخ زايد للنشر والتقنيات الثقافية، "ويأتى هذا الفوز للفكر الموثق والعميق والجهد الأكاديمى المسئول والعلاقة المتينة بالتراث الحى الواضح فى كافة أعمال المؤسسة".

وتعمل "بيت الحكمة" فى تونس منذ عقود على نشر مؤلفات فكرية مهمة من طبعات محققة لأمهات الموروث العربى فى الأدب والفكر واللغة والمعاجم، وترجمات علمية لأمهات الفكر الفلسفى واللسانى العالمى يقوم بها أساتذة ولغويون معروفون، ومؤلفات جماعية فى موضوعات فكرية وأدبية مهمة هى فى الغالب أبحاث مؤتمرات فكرية تقيمها المؤسسة نفسها وتدعو إليها أنشط العاملين فى المجالات المعنية.

شيماماندا نغوزي أديشي تفوز بجائزة النقاد للكتاب

الطريق الثقافي- خاص

فازت الكاتبة النيجيرية نجوزي أديتشي شيماماندا بجائزة النقاد الوطنية الأمريكية عن روايتها Americanah "أمريكانا". وتحكي الرواية قصة امرأة نيجيرية تنتقل للعيش في الولايات المتحدة لمواصلة التعليم الجامعي، وما تعانية من مشكلات اختلاف الثقافة. وسبق أن فازت رواية الكاتبة السابقة "نصف شمس صفراء" بجائزة "أورانج" في المملكة المتحدة في العام 2008، كما ظهرت روايتها "بيربل الكركديه" على اللائحة الطويلة لجائزة بوكر قبل أربع سنوات. ومن بين الفائزين في الفئات الأخرى الكاتب شيري فينك عن كتابه بشأن إعصار كاترينا، وفرانك بيدار في فئة عن مجموعته "الكلب الميتافيزيقي"، في حين تم تكريم إيمي فيلينز بجائزة السيرة الذاتية عن كتابها الذي غطت فيه رحلاتها إلى هايتي في أعقاب زلزال العام 2010 هناك.

حقائق مذهلة حول كتاب ايرلندا الأكثر شهرة

الطريق الثقافي- خاص

يكشف كتاب "حقائق مذلة حول كتّاب إيرلندا الأكثر شهرة" مجموعة من التفاصيل والقصص الجديدة التي لم يطلع عليها جمهور القرّاء من قبل، تتعلق بحياة وطقوس الكتابة لدى عدد من الكتاب الإيرلنديين، ومنهم جيمس جويس مؤلف كتاب "يوليسيس" الذي يقول المؤلف أنّه التقى الكاتب الأميركي أرنست همنغواي في باريس في العام 1920 ، وتسكع معه في شوارعها وحاناتها وشربا البيرة الثقيلة معاً، ومما يذكره المؤلف ، أن جويس كان في تلك الفترة ضعيف البصر ضئيل الجسم، بينما كان رفيقه الأميركي يتمتع بقامة طويلة وجسم رياضي ضخم ومزاج حاد على استعداد لتفجير غضبه لأي سبب تافه، فكان جويس يحتمي به في الحانات الصاخبة، وذات مرّة حدث شجار عنيف في الحانة التي يشربون فيها، فنهض أرنست وحطم الكراسي على رؤوس عدد من السكارى، بينما كان جويس يختبئ خلفه ويصيح.."ألكمه يا أرنست.. هذا واحد آخر اتى لنا من الخلف.. أنقض عليه يا أرنست.. نعم هكذا.. أصفعه بقوة.. احسنت". الكتاب ممتع للغاية ويتناول قصص الإيرلنديين من كتّاب ومخرجين وموسيقيين ويعد وثيقة مهمة على صعيد التوثيق الأدبي والثقافي لجهة تسليطه الأضواء على تفصيلات كثيرة طالما اهملها النقّاد والمؤرخون.

مهرجان سومر الشعري الأول سرياني عراقي عربي

الطريق الثقافي- من جميل الجميل

أقام منتدى بغديدى الأدبي بالتعاون مع اتحاد الادباء والكتاب السريان في العراق مهرجان سومر الشعري الأول في قاعة مسرح قره قوش في الحمدانية . شارك فيه "29" شاعراً من الموصل والحمدانية قرأوا شعراً بالسريانية والعربية. وابتدأ المهرجان بالوقوف دقيقة صمت حداداً على ارواح شهداء العراق، بعدها تلتها كلمة اتحاد ادباء والكتاب السريان القاها الاديب شاكر سيفو ثم كلمة منتدى بغديدى الأدبي القاها الشاعر جميل الجميل، وبعدها كلمة للمرواتي د. عمار احمد أكد فيها بأن الكتابة ليست اعتباطية وانها تحتاج الكثير من الجهد، وقال بانه مستعد لدعم الشباب والسعي لتوفير الدعم والرعاية لهم من جهات أخرى.

السيّدة فائزة سلطان مؤسسة الدار

الصورة Dar Safi

دار صافي للنشر والتوزيع والترجمة

تجربة تستحق التأمل

الطريق الثقافي- خاص

وسط إقبال كبير من جمهور الأدب الأمريكي والعربي، اختتمت دار صافي للنشر والتوزيع والترجمة مشاركتها بجناح خاص لها في معرض الكتاب الأمريكي AWP بسياتل في ولاية واشنطن والذي افتتح أبوابه في السادس والعشرين من الشهر الماضي.

وعرضت الدار كتبًا مُترجمة من العربية إلى الإنكليزية ضمن منشوراتها توزعت على الرواية والشعر، ولاقت قبولًا وترحيبًا كبيرين لدى العديد من المهتمين.

وتخلّل المعرض حضور الشاعر العراقي صلاح فائق موقعًا مختارات من قصائده ترجمتها دار صافي إلى الإنكليزية، والشاعرة العراقية وفاء عبد الرزاق موقعةً ديوانها « مذكرات طفل الحرب «.

وتعد دار «صافي» دار النشر الوحيدة في الشمال الغربي للولايات المتحدة، المتخصصة بترجمة ونشر الأعمال الأدبية الإبداعية والكتب الثقافية العامة، ملبيةً بذلك حاجة الملايين من الأمريكان الذين مافتئوا يتطلعون منذ عقود بحثاً عن بوابة يدخلون منها الى العالم الساحر حيث الثقافة العربية والكردية.

إن دار صافي تأسست بجهود الشاعرة العراقية الأمريكية فائزة سلطان والمترجمة العربية والكردية والرئيسة التنفيذية لشركة الترجمة Translation4all.INC. كان حماس السيدة فائزة سلطان للكتاب والترجمة وراء إنشاء دار صافي للنشر والتوزيع كمحاولة لتسهيل التواصل بين المبدعين والمفكرين العرب والكرد من جهة، وبين المبدعين والمفكرين الغربيين من جهة أخرى. وكان حماس السيدة سلطان للكتاب والترجمة وراء إنشاء دار صافي للنشر والتوزيع كمحاولة لتسهيل التواصل بين المبدعين والمفكرين من ذوي الأفكار المتألقة لكن العاجزين عن إيصال صوتهم للغرب لا بسبب افتقارهم للأصالة والمضمون، بل بسبب الحواجز الجغرافية ".

وتأمل دار صافي أن تكون بوابة العبور لمواطن جديدة غير مستكشفة من الأدب، حيث "إن مهمتها هي تجسير الفجوة ما بين الشرق والغرب بتقديمها مؤلفات لمبدعين ومفكرين ومثقفين معروفين وجُددٍ من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، حسبما صدر في الموقع الإلكتروني لدار صافي.

وستبدأ الشركة فوراً بترجمة وطباعة ونشرٍ بعض الأعمال الأدبية التي ستصدر قريباً لنخبة من الكتّاب العرب والكورد، وترحب باستقبال مخطوطات جديدة من ضروب أدبية مختلفة من الكتّاب والمبدعين المهتمّين بالنشر.

وقامت الدار بترجمة ونشر كتاب "نظرية الأجيال" للمفكر العربي سيّار الجميل ، بعد وقع المفكر العراقي سيّار الجميل عقد ترجمة ونشر كتابه " نظرية الأجيال" مع الدار في سياتل بولاية واشنطن الأمريكية، حيث سيكون الكتاب حاضرًا ضمن المجموعة الأولى من منشورات الدار لهذه الفترة، وكان الكتاب في نسخته العربية الأصلية صدر في عَمان وبيروت عام 1999.

وفي الخامس والعشرين من الشهر الماضي أقامت دار صافي للنشر والتوزيع والترجمة أمسية حفل افتتاحها الرسمي في مركز سبرينغ ستريت بسياتل، بمشاركة الشاعر العراقي صلاح فائق، والشاعرة العراقية وفاء عبد الرزاق، وحضور جمهورٍ من الشعراء العرب والأمريكيين.

وتخلل الحفل توقيع الشاعرين لكتابيهما، وقراءة شعرية فيهما، وفقرة خاصة بموسيقى الدف الكردية، وسط ترحيب شعراء أمريكيين وعرب بتأسيس الشاعرة والمترجمة العراقية فائزة سلطان لدار صافي للنشر والتوزيع، كدار النشر العربية الوحيدة في الشمال الغربي للولايات المتحدة.

وارتأت السيدة فائزة سلطان، وهي شاعرة من العراق والمالكة لشركة Translation4all.Inc. للترجمة وتقيم في ولاية واشنطن في الولايات المتحدة الأمريكية، إنشاء دار صافي للنشر والتوزيع كمحاولة لتسهيل التواصل بين المبدعين والمفكرين العرب والكورد من جهة، وبين المبدعين والمفكرين الغربيين من جهة أخرى. وكان حماس السيدة سلطان للكتاب والترجمة وراء إنشاء دار صافي للنشر والتوزيع كمحاولة لتسهيل التواصل بين المبدعين والمفكرين من ذوي الأفكار المتألقة لكن العاجزين عن إيصال صوتهم للغرب لا بسبب افتقارهم للأصالة والمضمون، بل بسبب الحواجز الجغرافية ، وذلك وفقاً لبيان المهمة الوارد في الموقع الإلكتروني للشركة.

وتأمل دار صافي أن تكون بوابة العبور لمواطن جديدة غير مستكشفة من الأدب، حيث "إن مهمتها هي تجسير الفجوة ما بين الشرق والغرب بتقديمها مؤلفات لمبدعين ومفكرين ومثقفين معروفين وجُددٍ من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا"، حسبما صدر في الموقع الإلكتروني لدار صافي.

وستبدأ الشركة فوراً بترجمة وطباعة ونشرٍ بعض الأعمال الأدبية التي ستصدر قريباً لنخبة من الكتّاب العرب والكورد، وترحب باستقبال مخطوطات جديدة من ضروب أدبية مختلفة من الكتّاب والمبدعين المهتمّين بالنشر.

وقامت الدار بترجمة ونشر كتاب "نظرية الأجيال" للمفكر العربي سيّار الجميل ، بعد وقع المفكر العراقي سيّار الجميل عقد ترجمة ونشر كتابه " نظرية الأجيال" مع الدار في سياتل بولاية واشنطن الأمريكية، حيث سيكون الكتاب حاضرًا ضمن المجموعة الأولى من منشورات الدار لهذه الفترة، وكان الكتاب في نسخته العربية الأصلية صدر في عَمان وبيروت عام 1999.

ويحاول الدكتور الجميل جاهدًا من خلال "نظرية الأجيال" البحث في مضمون التاريخ العربي والإسلامي وبيان أثره على البشرية وعظمة شأنه، ويحوي الكتاب بين دفتيه دراسة عميقة لما آلفته الأجيال العربية والإسلامية بدءًا من جذورها، كما يضع الكاتب رؤية تأملية للحاضر والمستقبل العربي جاءت من الإطار التاريخي المعتمد على ماضيه «.

جدير بالذكر أن الجميل المقيم حاليًا في كندا، هو من مواليد مدينة الموصل عام 1952، وأكمل دراسته في الجامعات البريطانية إلى أن نال الدكتوراة في الفلسفة (التاريخ الحديث للشرق الأوسط) من جامعة سانت اندروس الاسكتلندية عام 1982، وعمل محاضرًا جامعيًا في أكثر من جامعة عربية، كما ترجمت كثير من أعماله الى الإنكليزية والفرنسية والتركية.

وحاز على جائزة شومان منفردًا عام 1991 إلى جانب جوائز أخرى، وله أكثر من 30 كتابًا منشورًا منها العثمانيون وتكوين العرب الحديث/ والعولمة والمستقبل/ والأزمنة المرعبة/ وبقايا وجذور/ والعرب والأتراك.

من جهة أخرى قالت دار صافي للنشر والتوزيع في الولايات المتحدة الأمريكية في أحدث نشاطاتها انها أبرمت عقودا مع كتاب وأدباء عرب وكورد، ووقع لفيفٌ من الشعراء والأدباء العرب والكورد عقودًا مع الدار لترجمة وطبع ونشر أعمالهم للفترة الحالية، والتي اشتملت على روايات وقصائد مختارة، ومن هذه الأعمال:

• رواية "سابع أيام الخلق" للروائي والشاعر العراقي عبد الخالق الركابي، التي فازت بجائزة أفضل رواية عراقية عام 1995، كما أختيرت الرواية نفسها من قبل الاتحاد العام للكتاب العرب في دمشق، ضمن أفضل عشرين رواية عربية في القرن العشرين.

• مختارات من قصائد الشاعر العراقي صلاح فائق.

• رواية "في باطن الجحيم" للكاتب العراقي سلام ابراهيم.

• كتاب "رصيف القتلى" الحائز على جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي لسنة 2006 للصحفي المصري ابراهيم المصري.

• المجموعة الشعرية "حدث في مثل هذا اليوم" للشاعرة المصرية أمل جمال.

• المجموعة الشعرية "لا أحد يحلم للاخر" للشاعر العراقي فاضل سلطان.

• قصائد مختارة من تأليف الشاعر والمترجم العراقي جلال زنكَابادي.

وحديثًا تم توقيع عقد طبع ونشر ديوان الشاعر العراقي صلاح فائق، وكتاب "ذلك من أنباء الغيب" للباحثة العراقية أمل حسن.

بالإضافة إلى مجموعة فائزة سلطان نفسها "حلم وحب وحرب"، التي ستترجم للغة الانكليزية والكوردية، وستكون حاضرةً ضمن منشورات دار صافي لهذه الفترة.

وأشاد أدباء وفنانون وكتاب عرب بإفتتاح الدار، معتبرينها وسيلة جيدة لتعزيز التواصل الأدبي والثقافي مع الحضارات، ونشر المعارف وتبادلها.

فوز ثلاث منظمات بجائزة اليونسكو لتحسين الأداء

الطريق الثقافي- خاص

مُنحت جائزة اليونسكو للممارسات والجهود المتميزة لتحسين أداء المعلمين إلى كل من منظمة "أوكسام نوفيب" والاتحاد الدولي للمعلمين (بلجيكا)، ومنظمة قرى الأطفال العالمية SOS (مدغشقر)، ومؤسسة ProEd (بنما). وسيتم تسليم الجائزة إلى هذه المنظمات في 7 تشرين الأول/ أكتوبر المقبل في مقر اليونسكو بباريس، وذلك في إطار الاحتفالات بالذكرى السنوية العشرين لليوم العالمي للمعلمين. وجدير بالذكر أن الجائزة، التي تبلغ قيمتها 27000 دولار، تُوزّع على ثلاثة فائزين. وأنشئت في العام 2009، وتُمنح مرة كل سنتين لمشاريع لها إسهامات متميزة في ما يخص تحسين جودة التعليم والتعلم، لا سيما في البلدان النامية أو في إطار المجتمعات المهمشة والمحرومة.

رواية "جنود سالامينا " لخافيير سيركاس ذاكرة الحرب

الطريق الثقافي- خاص

صدرت عن دار نوفل ترجمة عربية لرواية "جنود سالامينا"، للكاتب اللاتيني خافيير سيركاس، ومن ترجمة ندى شديد زيادة وأدونيس سالم، وتدور حول الحرب الأهلية الإسبانية، وتحمل رعشة حنين ونوستالجيا رقيقة تؤمها منذ بدايتها وحتى نهايتها. هذه النوستالجيا هي انحناءة دامعة أمام آلام إسبانيا وشعبها، أمام جنودها الذين أنقذوا الحضارة من دون أن تعترف الحضارة بجميلهم، أمام محاربين يدافعون عن إسبانيا الأنثى الفاتنة التي يراها كلٌ منهم كما يشاء. «جنود سالامينا» تحية حزينة إلى إسبانيا التي تألمت ونزفت وشهدت موت أبنائها بعضهم على يد بعضهم الآخر.

ماريو فارغاس يوسا يناصر المعارضة الفنزويلية ضد مادورو

الطريق الثقافي- خاص

أعلن الكاتب البيروفي الحائز على جائزة نوبل ماريو فارغاس يوسا عزمه على السفر إلى فنزويلا لدعم قوى المعارضة السياسية هناك. واتهم الكاتب الرئيس الفنزويلي نيكولا مادورو بالتسلط والقمع والدكتاتورية، وقال "إذا نجح أسلوبه الشوفيني في الحكم فسيشعل فنزويلا ويعرض كافة بلدان أمريكا اللاتينية للخطلا". وتعرض فارغاس يوسا، الذي فاز في العام 2010 بجائزة نوبل للأدب، ويعد واحداً من الكتاب الأكثر شهرة في أمريكا اللاتينية ، للكثير من الضغوط بسبب معتقداته السياسية المناصرة للحريات العامة والديمقراطية، بما في ذلك صراعه ضد الحكومة الكوبية والقمع السياسي في الصين.

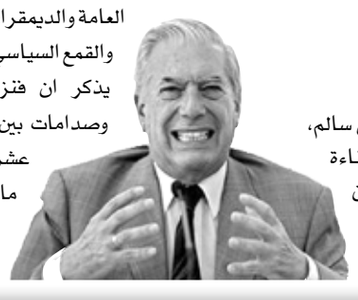

يذكر ان فنزويلا تتعرض لاضطرابات سياسية واسعة وصدامات بين مؤيدي ومعارضي الحكومة أدت إلى سقوط عشرات القتلى في الشوارع. ويتهم المعارضون حكومة مادورو بالتسبب في تردي الوضع الاقتصادي في البلاد، وارتفاع معدلات التضخم والجريمة .

ذكرى رحيل عباس محمود العقاد

ذكرى

مرّت في 22 آذار الماضي ذكرى رحيل الكاتب والمفكر عباس العقاد الذي ترك إرثاً غنياً للمكتبة العربية، وهو عباس محمود العقاد المولود في أسوان في العام 1889، أديب ومفكر وصحفي وشاعر. وعضو سابق في مجلس النواب المصري. لم يتوقف انتاج العقاد الأدبي رغم ما مر به من ظروف قاسية، وكان يكتب المقالات ويرسلها إلى مجلة فصول، كما كان يترجم لها بعض الموضوعات. اشتهر بمعاركه الأدبية والفكرية مع الشاعر أحمد شوقي والدكتور طه حسين والدكتور زكي مبارك والأديب مصطفى صادق الرافعي والدكتور مصطفى جواد والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)، كما اختلف مع زميل مدرسته الشعرية الشاعر عبد الرحمن شكري وأصدر كتاب من تأليفه مع المازني بعنوان "الديوان" هاجم فيه أمير الشعراء أحمد شوقي. توفي العقاد بالقاهرة في العام 1964.

تحليل اجتماعي

جامعاتنا.. نقد متأخر

أ. د. طالب مهدي *

يضيق المجال حقا هنا أن نتناول المسيرة العريقة للتاريخ الثقافي والعلمي لجامعة بغداد. ولكن يبقى الفحص والنقد لأي أو اية مؤسسة هو الأجراء السليم والصحيح، لا سيما وأننا أمام مؤسسة العقل والفكر والعلم التي رأسمالها وأساسها هو السؤال، الذي به حصرا لا بغيره تصنع المعرفة. وهو المهمة الأولى والرئيسة لها، وأن يأتي النقد متأخرا...! خيراً من ألا نطرق بابه. لبحث حساباتنا الداخلية، بعد التغيرات الكبيرة والمدوية التي حصلت في مجالات حياتنا كافة.

نتيجة

الحروب الاقليمية والدولية التي وقع ضحيتها الانسان العراقي واصابه منها منذ اربعة عقود ولحد الان ما لا يتحمله أي انسان، وقد حصلت هذه الكوارث بعد أزاحة وأسكات صوت العقل والعلم وجعل أهل العلم ومؤسساته بلا أستشارة وبلا أي دور. لهذا لابد من اعلاء شأن العلم والجامعة حيث أنها همزة الوصل بين تيارات الفكر المختلفة التي يزخر بها المجتمع. وأول حاجة لها ان تسعى للتجديد ، لمواكبة التغيرات الحاصلة في أنظمة التعليم وثورة التقانة الحديثة التي دخلت مجالات الحياة كافة. وتغير المناهج الدراسية واستحداث اساليب للتدريس وتوسع العلاقات الثقافية وتزايد الاعداد الكبيرة من الطلبة... الخ والتغيرات التي تحدث كل يوم وساعة في العلوم والنظريات والمناهج و في السياسية والاقتصاد، في الطب والهندسة والاحياء والادب والفن ، في الفيزياء وعلوم الفلك.. الخ.. ان هذا الواقع يجعلنا أمام تحديات كبرى، واسئلة عديدة وخطيرة تتطلب الوقوف أمامها بفلسفة جديدة ورؤى استراتيجية تضع اولياتها امام الدولة بأعلى مستوياتها ومسؤولياتها. وهذا يضعنا أمام قراءة لمضمون (الاستراتيجية الوطنية للتربية والتعليم العالي في العراق 2012 - 2022).. التي وضعتها اللجنة العليا المشرفة على اعداد وثيقة الاستراتيجية برئاسة معالي نائب رئيس الوزارء لشؤون الخدمات والاعمار وعضوية معالي وزراء التربية والتعليم العالي والبحث العملي، والمالية، والتخطيط في الحكومة الاتحادية، فضلا عن وزيري التربية والتعليم العالي في حكومة اقليم كردستان ورئيسي لجنة التربية والتعليم العالي في مجلس النواب، وعدد من المستشارين والخبراء وصل عددهم (28) عضواً من الخبراء من مختلف قطاعات الدولة...الخ وقد أقرت بان المنطلقات الاساسية للغايات الاستراتيجية هي:-

1. تعليم يؤمن تكافؤ الفرص.
2. تعليم ذو جودة عالية.
3. تعليم يسهم في التنمية الشاملة.
4. تعليم يحقق متطلبات المجتمع المتحضر.
5. منظومة تعليمية فاعلة وديناميكية.

أما المحاور الاساسية الاستراتيجية فهي كالآتي:

1. السياق المؤسسي والتشريعي للتربية والتعليم العالي.
2. البنى التحتية لمؤسسات التربية والتعليم العالي.
3. الفرص المتاحة للتربية والتعليم العالي (الالتحاق، المساواة، الكفاءة)
4. جودة التربية والتعليم العالي.
5. التمويل والانفاق على التربية والتعليم

الجامعة همزة الوصل بين تيارات الفكر التي يزخر بها المجتمع

فما قيمة النشاط العلمي الذي لايخلق فكراً؟

6. لماذا ما نزال نعمل بمنهج وعقل واجراءات (نتذكر....) ولا (نفكر....) ونطبقه على طلبتنا في اغلب الاختصاصات العلمية.. وهذا ما نلاحظه في مضمون معظم الاسئلة الفصلية واسئلة الامتحانات النهائية. الامر الذي اتجه فيه الطلبة الى أتباع اسلوب (الغش) ليكون ظاهرة بارزة في الوسط الجامعي وغاية المنى لكثير من الطلبة، هذا الخلل والمرض المستشري، الذي يتم علاجه باجراء بسيط جدا ومثمر في الوقت نفسه، ان تكون صيغة الاسئلة الزاما ووجوبا في كل مقرر دراسي، اسئلة فكرية، او نعمل بمعادلة الفقر. وهنا أقصد تحديداً معادلة (أضعف الايمان)، وهي ان تكون اسئلة الامتحانات النهائية ثلثها اسئلة تعتمد على التذكر، اما الثلثا ن فهي اسئلة فكرية. فمتى يتم تحقيق هذا الامر؟.

7. لقد اصبح توفير (الطاقة الكهربائية) في اماكن الجامعة وكلياتها كافة حاجة لازمة وضرورية ومن (المبكي والمضحك سوية) ان نذكر هذا في بلد يوسم في حركات وبورصات الاقتصاد العالمي انه دولة بترولية، ولكنها تعيش بلا تيار كهربائي!!! فكيف يقرأ ويفكر الاستاذ والطالب الجامعي تحت جنح الظلام الدائم في البيت والمكتبة والكلية؟

8. هل من المعقول ونحن نعمل بهذه الظروف المتدنية، التي لا نحسد عليها. ان تكون نتائج الامتحانات السنوية لكل دفعة بمستوى (جيد جدا) وفي الدور الثاني ترتفع النتائج لتصل مستوى (آلامتياز). أحقا هذا وحقيقة؟ الجميع طلبة واساتذة واقسام وكلية هم امتياز بامتياز؟؟ ولكي نطمئن وبصورة أكيدة لهذا (الامتياز) أعطينا فرصة أخرى لأضعف المستويات الطلابية (دوراً ثالثا) في الامتحانات النهائية وهو اجراء غريب في الدراسات الجامعية ولم نسمع او نعلم بأي نظام جامعي في العالم قد قام بمثل هذا الاسلوب غير العلمي، ولا نعرف الاسس التي استند عليها ' الا قد يكون الامر مداراة أو مجاملة غير نافعة للطلبة ذوي المستوى الدراسي المتدني،

9. هل لاحظت ادارات الكليات كيف يقيم طلبة الصفوف المنتهية مستوى تخرجهم؟ انهم يحضرون لصور التخرج قبل امتحانات الفصل الثاني.!! وهنا يتعطل الدوام لمدة اسبوع تقريب، بعد ذلك يضعون لافتات تحمل اسماءهم ويصف كا طالب منهم نفسه (بصفة) غير لائقة في الحرم الجامعي. فكيف نفسر أسباب هذه النتيجة؟.

نحن هنا بحاجة لدراسات نفسية وأجتماعية لنكون على بينة باسبابها.

10. أين موطن الارباك والخلل في هذا البناء الثقافي والعلمي العام في مجتمعنا؟ هل ترضى بغداد والفكر والعلماء والحضارة بوضع من أورثتهم تاريخها المشرق.

11. هل طرحنا الاسئلة كافة؟ أم انها غيضا من فيض كما يقال؟ فنحن لم نتطرق لوضع الطالب العام، بين طالبة كل همها ان تبدو بزي جميل يثير الاعجاب مع غلاف من المكياج اليومي. وطالب يدخل الحرم الجامعي وهو بلا (ورقة أو كتاب أو قلم) وقد تسلح بجواله وعلبة سجائره مبتد ئا يومه الدراسي جالساً في قاعة النادي، بلا سؤال عن مناهجه الدراسي اليومي. ولا مبالغة في هذا الوضع المؤلم، انه مسؤولية يحمل وزرها الجمع الجامع لكل منتسب للحرم الجامعي.

12. كيف تتهيأ للاعوام القادمة التي تتزايد فيها اعداد الطلبة لدخول الجامعات الذين سيفوقون قدرات وأمكانات ادارات اية كلية؟

لقد سقنا وبعجالة اسئلة مهمة نحن بحاجة ماسة لأتخاذ التدابير الجادة والفاعلة لعلاجها. بالاستناد لمؤشرات المنطلقات الاساسية للغايات التي جاءت بها الاستراتيجية الوطنية التي تؤكد على تعليم ذ ي جودة عالية وتعليم يسهم في التنمية الشاملة، وتعليم يحقق متطلبات المجتمع المتحضر، وتعليم يعمل بمنظومة تعليمية فاعلة وديناميكية. ويحدونا الامل أن نسرع بخطواتنا لتطوير واقعنا العلمي، ولكن لو توقفنا قليلاً لملاحظة ابسط متابعات البناء التنموي في مجتمعنا والذي له صلة بمتطلبات مجتمع الجامعة وحياتنا العامة، فعلى سبيل المثال لقد تم انشاء (جسر صغير) مهم جدا لتسهيل حركة المرور في منطقة (باب المعظم) المجاورة لمجمع الكلية، وفي منطقة حيوية في العاصمة بغداد، وبخصوص هذا الجسر العجيب العسير والعنيد على الانجاز، طلبت من طلبة قسم الاجتماع وكنا في محاضرة عن علاقة تنمية البنى التحتية بتطوير المؤسسات العلمية، أن ينشروا (حكاية هذا الجسر) تحت عنوان:- (سر كبير في جسر صغير)؟!. ونسأل بمرارة اين متابعات مسؤولي التنمية الاستراتيجية الوطنية لمشروع حيوي وفي مركز العاصمة؟ ويقع تحت الانظار ومعيق لحركة المرور اليومية!! فان يكن هذا واقع انجاز المشاريع. فهل سنتمكن من تحقيق خطط وسياسات وبرامج مستقبل التربية والتعليم العالي في غضون عقد من الزمان القادم ؟ كما قد اقر في الاستراتيجية الوطنية؟ نأمل لمؤتمر كلية الآداب التوفيق والخروج بتوصيات ممكنة التحقيق، هذه الاداب العريقة التي كانت النواة الاساسية لتأسيس جامعة بغداد الحاضرة...

* جامعة بغداد - **كلية الاداب / قسم الاجتماع**

نكبة الدور الرسالي للاعلام العربي

د.جليل وادي

لم يحدث ان ادى الاعلام العربي دورا مؤثرا في تاريخه كالدور الذي قام به اثناء التغييرات السياسية التي طالت بلدان عربية لها ثقلها السياسي على المستوى الاقليمي والدولي بدءا من العراق ووصولا الى مصر وسوريا ،اذ كان لاعبا مؤثرا تفوق تأثيراته في احيان كثيرة الاطراف الاساسية في الازمات الناشبة ، واذا كان اتساع هذا الدور قد استمد من التطورات الكبيرة والمذهلة التي حدثت في مجال الاتصال بكافة اشكاله وبخاصة منه الاتصال الجماهيري الذي تمثل بالقنوات الفضائية وشبكة الانترنيت القافزتين على مفاهيم السيادة واللتين جعلتا الفرصة سانحة لمختلف القوى والجماعات استخدامهما على اختلاف اهدافها ومنطلقاتها ومرجعياتها من دون ان تواجه اعتراضا بوصف الاتصال حق اساسي لايقل من حيث الاهمية عن الحقوق الاخرى التي يفترض ان يتمتع بها الفرد والمجتمع ، فمن حق المرء ان يسمع الاخرين وان يسمعهم صوته ، الا ان اللافت في هذه الوسائل التي اغتنمت الموجة الصاخبة للديمقراطية التي اجتاحت المنطقة ، ان دورها الرسالي شهد ضيقا واضحا بشكل احبط الذين راهنوا عليها في احداث التغيير الذي من شأنه الارتقاء بالمجتمعات وانتشالها من حالة التخلف والركود التي تعيشها منذ عقود . مع ان القليل من وسائل الاعلام العربية لازالت صامدة لتواصل دورها الرسالي منطلقة من ايمان حقيقي بضرورة النهوض بالمجتمع على اساس من ثقافة متطلعة الى اللحاق بالاخر او على اقل تقدير تهيئة المناخات المناسبة للعمل المبدع والعيش الكريم ، بخاصة ان البيئة العربية تتوافر على كل مايجعلها فاعلة ومؤثرة في محيطها ، فضلا عن ايمانها بالدور الرسالي للاعلام الذي تحتمه اخلاقيات هذه المهنة التي يفترض ان تظل نبيلة على الدوام ، لكن الواقع كشف عن امور كثيرة مغايرة لذلك تماما ، اذ اتجهت غالبية الوسائل الاعلامية العربية الى مسارات تقف بالضد من جوهر رسالة الاعلام ، بل مارس بعضها دورا تخريبا انتهى في كثير منه الى تهديم البلدان وتمزيق المجتمعات ، مع ان الاعلام العربي كان الى وقت قريب حصنا منيعا ومتصديا باسلا الى المخططات التي تريد النيل من هذه المنطقة وشعوبها .

وكان الدور التخريبي لصيق بالوسائل الاعلامية الغربية ،وبخاصة منها الناطقة بالعربية ، الامر الذي دعا الانظمة السياسية الى عرقلة عمل هذه الوسائل بمختلف الاجراءات الفنية والقرارات السياسية التي تحد من انتشاره في بلدانها . بينما تمارس وسائلنا الاعلامية في هذه المرحلة التي اطلق عليها بالربيع العربي دورا تخريبيا يفوق في خطورته ما قامت وتقوم به الوسائل الاعلامية الاجنبية التي اتضح للمراقب ان ادوارها كانت محدودة على العكس من توقعات المعنيين ، فما الذي جعل الاعلام العربي يتنصل من مسؤولياته؟ ويتبنى مشاريع جاهد الاعلاميون الاوائل في سبيل التصدي لها والعمل على تحصين المجتمع العربي بثقافة مستنيرة اتاحت له مواجهتها ، وفي مقدمة ذلك تعبئة الجماهير للتحرر من الاستعمار وتحقيق الاستقلال الناجز مع انها مهمة عسيرة في وسط اجتماعي لم يتوافر بعد على مستوى معين من التعليم ، بمعنى ان مستوى الوعي بضمنه السياسي كان في حدوده الدنيا ، وبالرغم من ذلك كانت له صولات وجولات لايمكن اغفالها او القفز عليها ، ودفع في سبيلها اثمان باهظة ، واسهم بفاعلية مع قوى التحرر في صياغة مشروع سياسي لو قدر له الاستمرار على وفق منطلقاته من دون ان تنحرف به قوى السلطة صوب ما يعزز هيمنتها ، لتمكن من احداث التحولات المنشودة في بنية المجتمع العربي ، لكن الانظمة السياسية التي سيرت الامورعلى هواها ، وما تعرضت له من ضغوط قامت بها قوى متنفذة في المشهد الدولي للاتجاه بتلك الانظمة نحو ما يحقق مصالحها في المنطقة والعالم ، كل ذلك دفع قوى السلطة الى جعل جميع ادوات التحول تحت سيطرتها وفي مقدمتها وسائل الاعلام ، متوهمة ان المشروع الرسالي هو الذي يستند الى ايديولوجياتها ، ولم يقتصر الوهم على منظومتها الحزبية ، بل امتد الى المنظومة الاعلامية التي انقسمت مواقفها ازاءه بين التأييد والرفض ، وما ادى اليه هذان الموقفان من تهشيم لجسد الطبقة المثقفة .

وظن كثيرون ان نسائم الربيع العربي ستنفض الغبار عن الاعلام العربي الرسالي وتفتح الافاق واسعة امام رجاله من الاعلاميين والمثقفين ، لكن الربيع افضى الى واقع مأساوي لم يكن بحسبان الامة ،ويتحمل الاعلام العربي المسؤولية الاولى فيما وصلت اليه الامة من تشرذم ونكبات . وبالتأكيد ان عوامل كثيرة تقف وراء ما انتهى اليه الاعلام العربي من ممارسات تخل برسالته وتتعارض مع اخلاقياته ، والضرورة التاريخية تقتضي التطرق الى تلك العوامل اذا ماارید التصدي لهذه الظاهرة الخطيرة .

معاون عميد كلية الفنون الجميلة / جامعة ديالى

في الخريف

وديع شامخ

لاشكَ ان الأوراقَ تغادر أعشاشها
مرّة
ولكنه الخريف يكرّر القتل العمد

في الربيع
يحاول آدم أن يجد زهرة أخرى
غير حواء
بجدوى العطر

في الشتاء
لا جدوى من الحكاية دون موقد
ولا حكمة بلا بياض الرعشة

في الصيف
تستعيد الكائنات زرقتها
مرّة الى الموت
مرّة الى الخيال

هكذا تريد الدائرة إختصار
الحلم

رياء

ضيقٌ أنتَ يا عقلي.. عليّ
وأنا أريدُ التَنَزّه خارجَ الشوك ..
.....
مرّة أخرى نريد تجريد الصواب من السعف
والحكمة من التمر
لنعصر للمجنون عذرا

أيها الفم التائه في الحكاية
المُتهدل تحت أفياء القول
الذباب يريد الذهاب الى النوم
هل من رذاذ مديد ؟؟؟؟

منغوليون

ليسوا " المغول"
ولا نسب لهم مع " جنكيزخان "
لايعرفون بلادا اسمها " منغوليا"
ولا عشيرة لهم أيضا .
هؤلاء " المنغوليون " جاؤوا الينا " منّا" بوجوهم المتشابهة ليثبتوا
زيفنا في الاختلاف

لا أعلم أنهم من نسل المحاربين
لم يثبت التاريخ هذا !!!
قلنا لهم :: أنتم كفنٌ
قالوا لنا : أنتم الموت!!
مَنْ صاحب الحياة إذن ؟؟

قال العلم : المنغولي يعاني من :
.×-عيوب في القلب، والتي تظهر لدى واحد من أصل ثلاثة أطفال
منغوليين
×-عيوب في الجهاز الهضمي
×-مشاكل في البصر
×-مشاكل في السمع

يا لهذه العلوم من مجازر متجولة ،
التاريخ يجمعهم بالقتلة ، والطب يشملهم مع " المعتوهين "
ترى من هم " المنغوليون " حقا؟؟؟

فتنة اللون

مِثلُ قميصكِ يبتدأ التقويم رشاقته ..
مِنذُ أنفاسكِ تَشرقُ الشمس من مغارتها
مثل صوتكِ ، ديكة الأرض تخشع أحمرارا ..
بأحلامك المَلونة، الصباحات تكتسي قوامها ..
وعلى إيقاع مطركِ يَهطلُ قوسُ قزح
برقصته الأثيرة ..

ليلة انقراض الرجل الأخير

د.ماجدة غضبان المشلب

الى المرأة في يومها ، و كل أيامها لأهل الأرض أعياد

(قد قال بالألم تلدين ، فما أتــرع نهداك الا بالحب وحده)

كتاب فولتير على الطاولة..
و مدام بوفاري تتنزع كل عشاقها كما تتنزع دبابيس شعرها..
بسبابة واحدة أخذت تمحو تفاصيل ما شتلته عربة تجرها الخيول في أحياء باريس.. و ما حدث في القصر القريب أيضا.. و حيث ترنحت خطواتها نحو بيتها عند الفجر.. و ما سكبته من تأوهات على رسائل الخيانة في أدراجها.. و ما جنته من سحنة زوجها و هو يقلب قلبها على ورق قديم مستسلما لحماقته و جنونه..
لم تعد الكنيسة تناقش أمرها.. ذابت خياناتها في بحر من ضياء برج إيفل.. و غبطة السين بتحوي مويجاته ، و خلود الرضا في قاعه..
نهضت كقديسة في رحاب أنثى ، و تململت بترم في حيزها البشري الضيق..
أطل صوت حبيبتها مضطربا من سماعة الهاتف كعصف إنفجار مفخخة قريبة..
تلك مجنونتها التي تتحول الى كائن آخر حين تشرع في الكتابة..
فلا تكاد تسمع النداء المسترخي كعنقود عنب مختمر عند دنانها..
لم أخرجتني من قصر بودلير؟..
انتصبت كلماتها فوق شرفات الغضب.. و هي تواصل:
هنا الزنجية تسرح بين قصيدة و أخرى كأنها الليل الذي لا ينقضي عمن فارق خليله..
بل أنا معك فيه حيث تنبت كل «أزهار الشر» بين قبلة و أخرى..
خرز خلخال تطشر و ألمك؟؟»..
القلعة الطينية تقترب من الشريعة بزخارف السعد.. و الغراف يتغنج تغنج النساء بالكفوف المحناة ، و بلون الديرم على الشفاه..
و الكحل الذي لا يغادر الجفون الا مع نظرات الوله..
الماء يمارس الحب بين أناملهن مع عطور المسك و الهيل و العنبر ، و الضحكات تتوارى بين أغصان الرمان الطرية المحملة بثمار مريم العذراء و اليسوع..
عند الكنيسة تبعت الزغاريد صيحات قدها المجون من قدم و من دبر، لا حاجة لدليل على إقتحام الأسوار الإلهية نحو ورقة توت تسقط بمحض إرادة ما سُفِّه في بيداء المحرمات..
مثليتان تشرعان بتقبيل بعضهما البعض بين ضجيج المدعوين من الرجال.. تطلقان شهقة تذوب لها سيوف الحرب المحتدة.. و تسل مسحورة لتماهي الجسدين في بريقهما.. و إقتحامهما لغموض الأدغال.. و العشب الخجول الندي المطعم بزهرات زرق صغيرة تلمع كفصوص الماس في خواتم الأميرات..
لم تشعرا بمقدم الخيول و هي تجر حديدها بلا قوائم ، و لا سمعتا بيتا من ميمية المتنبي لسيف الدولة.. فقد أجهز الفردوس بجرأة الشهوات على حروب الردة.. محلقا بجناحين من زبد قاموس الحرير..
داعبت الأنامل ما بين منحنى و آخر ثمار حواء المتدلية من جنائنها المعلقة.. مضى الولدان بأقراطهم خاشعين.. و تبعتهم كل حور العين..
لم يعد من شبق البرية سوى مزنة آذار لتهبط كالوحي على واحات اللذة الخفية.. مقيمة بين الزهور رغوة شراب طافحا فوق اللهاث.. منصاعا لكل خيوط الرعشة..
ضجت كواعب الربيع على جسديهما ضجيج غاب بين دفتي إعصار.. و تلوى شلال حائر بين إستبداد قمم الجبال و لهفة منحدرات الوديان لقدومه العارم..
تداخلت الأذرع في عناق غير عادل.. أشبه بعناق الذهب مع الماء المذيب له..
خصل من شعريهما تضمخت بثمالة الكؤوس.. سكرت حلمات النهود بفتوى الشغف..
ليس من خيار بين البقاء و الإذعان لتوحد جائر بحق الذهب و مائه..
لم أختر الذوبان..
ولا أنا..
أنت لعينة.. قدمت من زمن آخر يجهلني..
بل أنا أعرف جيدا من تكون هذه المرأة الغاضبة دوما..
تسألين عن الغضب؟ ، ما رأيك بالموت تحت دثار الأحياء؟.. ، ما رأيك في أزقة تحتشد مع بعضها لتطردني كيتيم لم يدرك والديه بعيدا عن أية سكة تصلني بما كان؟..
عدنا من جديد لما حدث في لشبونة.. ، كانت تلك ليلة فحسب قبل الحرب ، و قرأناها معا في رواية..
أنت تخلطين بين ما رأيت أنا ، و ما قرأنا معا..
حبيبتي.. ، اني اتوق الى ضمك..
وانا لا أتوق الى حب يتحدى الجغرافية و ما فيها من تضاريس..
قد خلعنا كل ما كنا عليه خلف هذا الباب..
مازال صوتانا يصدحان بأنوثة ، ما زلت من زمن أغبر..
مدري ليش أتمايزك وردة قرنفل ، و أتيه روحي بريحتك ، و أحتار من يا صفحة أشمك»
من تجسني إشفايفك تاخذني غيبة»..
و «من ترشني إبمزنتك و لهان أفز»
لن روحي يمك»..
أبعد هذا من حيرة؟
انها حيرتي بين سحر الزهور الصغيرة التي تنبت في آذار على الأراضي البكر في قلعة سكر.. و بين فردوس براء من سمائه.. ولد عند منحنيات إمرأة.. بين الشامخ من جبالها و وهاد أسرارها..
عريان يدخل ذات الغرفة في فندق بغدادي متواضع ، و يختار غرفة رقم 319
على طولك إشعلني و صيح بيه الصوت»..
أنا بطرك النفس بين الحياة و الموت»..
أجاورنا ليلتها ، أم سمع رنين الشهوة في أربعة خلاخيل؟..
قهقتا بجنون.. ، انطرحتا عند الغدير.. و رق الطين تحتهما حتى استحال شغافا.. نديت أوراق من شجر البرتقال.. تنهدت بكارة القداح و هي تتمزق عند إصرار أريج ما حملت الصواني يوم الدخول..
هل سمعتِ بسقوط طاق كسرى؟..
هل علمتِ بثورة الزنج على مسطحات الماء بين بغداد و البصرة؟..
جملني بعد كطره وخذني وياك»
هناك الفيض كلبك»
حتى روحي تنام»
الجواري و الإماء في قصر معاوية يرمين بأدوات الإخصاء عند المسجد الأموي.. ، و المنصور و المنتصر و المستنصر بالله مع نبوخذ نصر و حمورابي و جلجامش يضعان مسلة متوارثة.. و يختنان قربها عذارى شهريار قبل ليلة من ولوج السياف لمخدع مولاه..
لنها ما بالغبشة غبشة بغير عينك»
خاف أترز بيك حد كطع النفس»
و ازهك و أضرك»..
خاف تطشر ولك و شلون ألمك؟»
تتاوب الجسدان بين طي و إنبساط.. و انزلق نهر من الخمر ، و آخر من لبن بين القلعة و الغراف ، بين دجلة و الفندق ، بين عريان وخشيته من جد علوية بجيد يتعرق بماء زمزم..
عصبت أعين الرفاق..
اغتصبوا الرفيقات..
انهن يغسلن فروجهن بماء الذهب في الأقبية تحت بنايات بغداد..
سقطت بغداد بعد سقوط النساء مع الرضع في قبور جماعية..
يمعود دخيلك والكلب شيصير»
من تكطع بتوته منين اجيب بتوت؟»
تطرق الباب زليخة على أنغام المزنة الأولى.. و تفتح أبواب الغراف و القلعة..
لم يعد يوسف هنا..
ولا السنين العجاف..
ولا العجل المعبود..
تاهت زليخة في أوراق مصحف ، و جف ثدياها في مجاعة أفريقيا، وشهدت الحشود في قم مقتل قرة العين..
عاذرك لو تغتاظ»
بس من غير شارة ، و شارتك هالبينت ودخيل جدك!!»..
صغرت في عين سيف الدولة عظامها ، و عظمت في عينه رحلة أحمد نحو كافور الأخشيدي.. ، طلق المعري الدنيا ثلاثا ، و لم يقذف في رحم الخطيئة ، لم يأكل لحم ذبيح..
العموريون يتقدمون نحو أور تقدم بدو الخيام نحو الحواضر ، و الملوية تعلو حتى تناطح غيوم هارون الرشيد.. اليهود في كركوك يبنون معبد ملك بابل.. برج بابل يتحدى بعلوه السماء..
أهذه باريس؟
لست مدام بوفاري لأعرف..
مدام بوفاري لم تحضر عرسنا المثلي..
ولا غلمان القصور العباسية ، بل لم نشرب خمر ابي نؤاس..
كل هذا يقع خارج التحامنا على أرائك الفردوس..
انها لذة للشاربين..
ما من لذة خارج امتداد الغراف ، و جدران القلعة ، و رمانها البتول..
انها ناطحة سحاب قدر ما استطاعت..
ليس بي أمنية أن انطح السحاب ، فأنا فوقه حقا..
ماذا عن كل ما جرى فوق الطين و تحت الخيمة الزرقاء؟..
لا يعنينا قدر ما كان يعني لبوفاري موتها و هي تشرب قدحها الأخير..
هناك نحيب عند قبرها..
و هنا موسيقى حب أعدت للمؤمنين ، و كان مذاقها كافورا..
ذلك حب لا ريب فيه..
هل نمضغ كل ما مضى كعلكة لابد من رميها بعد حين؟
إن كان كالعلكة ، بلى.. ، مالذي يجبرنا على الإحتفاظ به؟
ربما كان يومها ذهبا يلمع في عين أحدهم؟
ها أنت تقولين يومها ثم تلحقينها بأحدهم..
أعني ان وقت القبل قد حان..
اني اراه كذلك..
ما الاستبرق و السندس الا مداس كسرى؟..
بحوزتنا خلود جلجامش دون أفعاه..
هل يجرؤ الموت على شجار مع لذة الخمر؟
يمتد العناق السرمدي حتى أذيال ثوب مدام بوفاري..
يقترب برج إيفل مهرولا من نخلة ثقيلة الأعذاق.. تتراقص صورتاهما على صفحة الماء.. يلقي الغروب بألوان الحبور.. و تغمض الشمس أعينها على تداخل الأزل. كان يفترض أن أضع الكثير من الهوامش ، لكني سأترك للقاريء أن يضع هوامشه الخاصة به ، و أكتفي بالقول ان كل الشعر الشعبي المحصور بين قوسين مأخوذ من قصائد للشاعر العراقي عريان السيد خلف ، و هو أحد شخوص هذا النص أيضا.

السودان يودع شاعر الشعب محجوب شريف

فجع السودان بأوساطه الثقافية والسياسية والشعبية السودانية برحيل شاعره الملقب بشاعر الشعب محجوب شريف عن عمر ناهز الـ66 عاما بعد معاناة طويلة مع المرض التي استمرت سنوات. ويعتبر الشاعر الراحل أحد أميز شعراء القصيدة السياسية والأغنية الوطنية، وقد تميزت حياته بمحطات سياسية أدخلته السجون على فترات متباعدة وفي ظل أنظمة سياسية مختلفة وبلغت سنوات سجنه نحو 13 سنة. وتغنى الراحل -الذي انتمى مبكرا لليسار السوداني في هذه السجون- بأحلام الجماهير وتوقها للحرية عبر رسائل شعرية كانت تنشر سرا، كما خاض غمار السياسة مترشحا باسم الحزب الشيوعي في فترة الديمقراطية الثالثة عام 1986ولم يحالفه الحظ بدخول البرلمان حينها. أسس الراحل مع آخرين منظمة أطلق عليها اسم «رد الجميل» لمساعدة المحتاجين في كل المجالات، ليتميز بالتصاق فئات غير مثقفة بشخصه. واشتهر الراحل في العمل الإنساني بمساعدة كل من يطرق بابه في مجالات العلاج والدراسة، مما أكسبه بعدا شعبيا إضافة إلى لقب شاعر الشعب. قد أصدر الراحل ديوانا شعريا واحدا باسم الأطفال والعساكر تم توزيعه مجانا في احتفالية نجاح سكرتير الحزب الشيوعي الراحل محمد إبراهيم نقد في انتخابات عام 1986، كما شارك في مطبوعات تُعنى بالأطفال وأدبهم مع مركز عبد الكريم ميرغني باسم النفاج. وللشاعر أغان وطنية تغنى بها الفنان محمد وردي، إضافة إلى أغنيات عاطفية تُعتبر الأشهر في مجموعة أغانيه، مثل أغنية «جميلة ومستحيلة».

وقد تحولت كثير من مفردات محجوب شريف إلى مفردات شعبية متداولة وإلى مشهد متكامل يحكي اللحظة في حياة شخص ما وصارت أغنية «جميلة ومستحيلة» بديلا لاسم جامعة الخرطوم التي كانت عصية الدخول إلا للنوابغ من الطلاب. تشييع غير سياسي. كانت وصية الراحل بأن يدفن في مقابر «أحمد شرفي» بأم درمان، وألا يمشي في جنازته مسؤول حكومي واحد، ليأتي مشهد تشييعه غير معهود ومبدعا، قوامه نحو عشرين ألفا بمشاركة شبابية ونسائية غير معهودة، كما رفعت أعلام الحزب الشيوعي السوداني وعلم استقلال السودان مع ترديد شعارات مقتبسة من قصائد الراحل السياسية. الناقد عامر محمد أحمد يرى أن الراحل مثل حالة سودانية خاصة إنسانيا وشعريا «وكان يعرف بذكائه قيمة أن تنحاز إلى غمار الناس مع المجاهرة بالحقيقة، مما أكسبه الاحترام والارتفاع فوق الحزبية الضيقة». وأضاف أن ميثاق محجوب شريف الشعري ارتكز على النقاء والصفاء والبهاء، فأسس صرحا معرفيا بهوية غير متنازعة وخط سياسي التزم به حتى في وصيته الأخيرة. ويرى الناقد مجذوب عيدروس أن محجوب شريف مع موهبته الشعرية إنسان في غاية البساطة والتواضع والدراية «واحتفظ بعلاقات طيبة مع الجميع». وأشار إلى أن شريف استطاع أن يجمع بين الالتزام وجماليات القصيدة العامية، وتيسر له وصول قصائده إلى كبار الفنانين، على رأسهم الراحل محمد وردي والموسيقار محمد الأمين، وأضاف أن محجوب شريف قد دفع ثمنا غاليا «حينما احتضنته المعتقلات سنين عددا، وظل وفيا للمبادئ التي آمن بها حتى النهاية».

مكالمة هاتفية

عبدالهادي سعدون

اليوم نهضت على الساعة الواحدة ظهراً، أمضيت نهاية الأسبوع من حانة إلى أخرى برفقة أشخاص لا أعرفهم، عرفوني على آخرين لم اعرفهم سابقا، عرفتهم فيما بعد وكان أن عرفوني على آخرين، وهكذا كنت أمضي مع كل من أراه في البارات ظاناً به صديقاً عرفني عليه صديق آخر. وهذه هي حكمة السكارى الذين نهرب من العالم لنبقى برفقة الآخرين الذين هربنا منهم في حالة صحو. ليست هذه هي الحكاية التي أريد أن أذكرها، ولكنها حدثت لي ما أن نهضت صباح اليوم التالي لنهاية أسبوع ثمل. حكاية حقيقية من الأول إلى النهاية، ليس لي بها اية يد ولا تدخل ولا لعب فني ولا مما يمكن أن يخطر على بال أحد. الحكاية اسردها تماما كما جاءت بدون اي تطويل ولا زيادة ولا تجميل. هي واحدة من هذه الحكايات الواقعية التي تجعلنا نشك مئات المرات بقدرة خيالنا على أستيعاب الواقع.

ما أن جلست في الصالون متلذذاً برشفات قهوة و سيكار كوبي صغير وجدته مرمياً في علبة قرب جرائد قديمة على المنضدة، ربما أهداه لي أحدهم (لا أذكر من هو حقيقة)، حتى انتبهت إلى أن هاتف البيت يشير ضوئه المنبه إلى أن هناك أكثر من عشرين مكالمة هاتفية في الليلة السابقة. حاولت معرفة من أتصل بي ولكنني وجدت الرقم مشفراً ولا يشير لأي جهة ولا لأي شخص. قبل أن يتيح الوقت لرأسي الدائخة أن تحزر من يمكنه ان يتصل بي وبإلحاح كل هذه المرات، حتى رن الهاتف، راقبت الرقم ووجدته مشفراً لا يشير لأحد، فتحاملت على نفسي وأجبت لأعرف من هو هذا الذي يصر بلا هوادة ليكلمني:

- آلو
- آلو تفضل...
- هل يمكنني أن اتكلم مع السيد عبدالهادي
- أنا هو...
- الأستاذ سعدون
- نعم بعينه...
- غريب، البارحة أجابتني السكرتيرة قبل ان تقول لي انك في إجازة
- سكرتيرتي...
- نعم، هي اخبرتني بذلك
- لكن ليس لي مكتب كي تكون لي سكرتيرة ولا...
- أقول لك الحق، وأنا ايضا تفاجئت
- وهي قالت لك ذلك...
- أجل، هذا ما فهمته منها، إذ أن أسبانيتي ليست علي ما يرام
- إذا حدثتك بالإسبانية...
- نعم بالتأكيد، رغم انني أقول أن لها لهجة غريبة، من الممكن أن تكون مغربية ولم ترغب أن تهدر معي بالعربية، تعرفهن كيف يكن، ما أن يتعلمن لغة أجنبية حتى يرفضن الحديث معنا بالعربية.. حزرته من إنفعالها، أظن أنها قالت لي كلمة بالعربية ثم غيرت رأيها وعندما أصريت عليها، سمعت موسيقى أو صوت منبه.
- ياه، ربما.. منبه.. حتماً...
- قد يكون ولكنها الملعونة في المرة التالية، كان لها لكنة فرنسية تماماً وكلمتني بالإسبانية، و انا لم أفقه منها حرفا واحدا.. كنت اكرر أريد ان اتحدث مع سعدون، الأستاذ سعدون، السيد عبدالهادي، ولكنها لم ترغب بالإستماع، لينقطع الإتصال، و احاول مرة اخرى، ومن جديد بلكنها الغريبة وتصر على محادثتي بالإسبانية رغم انني أؤكد لها أنني لا اعرف شيئاً من الإسبانية، فقط اريد الحديث مع السيد سعدون..

للحظة وانا استمع له، الحقيقة فكرت أن اغلق الخط، أو ان أتركه يهذي إلى الأبد دون إجابة، ولكنه بالتأكيد لن يتركني أمضي يومي بهدوء، لذا قررت أن اجاريه اعتقاداً مني بأنه معتوه، او مجرد رجل غريب يسأل عن حاجة، فواصلت مجاراته:

- لا يهم، سأحاول معرفة من وراء ذلك...
- إمرأة وليست رجلا، أقول لك ذلك حتى لا تخطئ بمعاقبة المقصر، ويمكنني مساعدتك لأنني أعرف صوتها جيداً.. بالطبع ليست هذه الأيام، فأنا مشغول بعدة أعمال، ولا يمكنني السفر إلى مدريد، ربما في مناسبة اخرى.
- إذن حضرتك لا تعيش في مدريد...
- كيف اعيش في مدريد أستاذ عبدالهادي، ألم تسمع بقانون ترحيل المهاجرين
- آه، ولكن ما علاقتك بهذا...
- أنت محق، ولكنك تعرف أنه بعد طلاقي من ماريا تريسا، العاهرة هذه، لم أستطع الحصول على عقد عمل ومرت الأعوام الخمسة ولم اجدد الإقامة وسقطت عني الهوية القانونية، لذا أتجول في المناطق الريفية النائية حتى لا أتصادف مع شرطة الهجرة..
- انت في مكان نائي...
- عذراً أستاذ، اعرف أنك ثقة، ولكنني لا أستطيع النطق بمكان تواجدني، الحيطة يا أستاذ الحيطة
- أنت محق، الحيطة ضرورية...
- ثم أنه من الضروري أن لا نشك ببعضنا البعض
- هذا ايضا...
- والثقة ليست كلمات وحسب، عشرة طويلة
- تقول عشرة طويلة...
- طبعا، ماذا تسمي ستة اعوام من النيك ليل نهار والخدمة في كل شيء
- عفواً لم افهم...
- العاهرة تلك، ماريا تريسا، أعوام أقول لك، نيك وتدليل ليل نهار، وها أنت ترى النتيجة
- فهمت...
- أنت اكثر من يدرك محنتي أستاذ، من يكوى بالنار يذق حرقها
- تقصد...
- أعرف أنك لا تريد أن تتحدث عن علاقاتك السابقة، ولكننا أصدقاء، ونعرف أسرار بعضنا
- ماذا...
- ولكن على أية حال، علاقتك بـ أنجيلا ليست مثل علاقتي بهذه العاهرة ماريا تريسا
- .....
- لا أعرف كيف وماذا يمكن أن يفعل الواحد منا في هذا الزمن الرديء
- ولماذا لم تفعل شيئاً مع ماريا تريسا لطالما..
- لا تذكرها لي رجاء، كيف يمكن رتق الكأس بعد ان ينكسر. تعرف ظروفي أستاذ، ومع ذلك كنت أفعل المستحيل كي تكون سعيدة، كانت تسميني فحلها، الفحل أبو إير لا ينام، الحبشي القاتل، المورو المتوحش، السفاح الذي لا يكل ولا يمل، وكل ذلك تأتيني بحكاية انها بعد كل هذه السنين بدأت تشعر بالملل ولم تعد تشعر باي ميل عاطفي نحوي.. هل أقطع أوردتي واموت، كي أؤكد لها أنني لا أفهم معنى الميل ولا العاطفة التي لم نتحدث فيها وعنها طوال ستة أعوام
- شيء من التغيير لا يضر...
- برحمة أبوك أستاذ لا تحاول أن تبرر لها
- لست ابرر...
- المسألة بسيطة، العاهرة ملت من النيك معي وأرادت البحث عن آخر
- آه، ربما...
- لا ربما ولا هم يحزنون، مسكتها بيدي هاتين
- مسكتها...
- متلبسة كما تقول أنت أستاذ. كان قبلها قد حدثتني عن التباعد الروحي والجسدي وما إلى ذلك من ألعاب العاهرات، ولكنها لم تقل شيئا بعد عن إفتراقنا النهائي. في يوم من الأيام، عدت ظهراً، كان الوقت صيفاً وجهنم فتحت أبوابها علينا تلك السنة، وما أن دخلت البيت حتى سمعت صراخا لا مثيل له. ركضت ناحية الغرفة خشية من وقوع حادث لها او مكروه ولكنني آه... فوجدتها... وجدتُ العاهرة تمتطي شاباً صغيراً وتصرخ وكأنها مهرة. لم ترني هي ولكنها أحست بخوف الصبي ومحاولته إنزالها من فوقه، حينذاك أنتبهت، ولكنها لم تنزل بل أوقفت الصبي المرتعب، ودارت ناحيتي قائلة: لقد حذرتك ان كل شيء أنتهى بيننا، الآن رجاء أخرج فأنا في غرفتي ولي خصوصياتي.. تصور.. العاهرة، تعملها في غرفتنا المشتركة وتطلب مني الخروج.. هكذا ببساطة
- و أنت...
- كيف أصفها لك، دارت الدنيا في عيني، ولم تكن سوى بحجم حبة خردل
- لم تفعل شيئا ...
- ماذا، أفعل. يا إلهي، هجت وكأنني في معركة ولم أعرف من أين ابتديء
- تقول أنك...
- كسرت البيت على رأسها، جررتها حتى السلم وطرحتها هناك، وعدت راكضاً لأمسك الصبي، ولكنه هرب عارياً من النافذة، وكنت قد قررت إيقاعه، ولكنه كان محظوظاً إذ نزل من البالكون مباشرة حتى الشارع، رمى بنفسه، سقط، أنكسرت قدمه أو كل أضلاعه، لا يهم، وما أن طللت برأسي حتى وجدته يركض في الشارع هائماً، خصيتاه تتأرجحان، وأيره قائماً كقصبة تحركها الريح...
- يا للوصف المذهل...
- لا تتحامق معي أستاذ، رأيته وحسب بهذا الشكل، ولكنني لم أتوقف عند ذلك، قررت النزول والركض ورائه. ما أن خرجت حتى وجدت جمع الجيران عند السلم متأهبين للإنقضاض علي، وبقدرة سحرهم اخفوا العاهرة عني، لبدت في بيت أحدهم. صرخت بهم وهددتهم وحاولت أن أدخل أقرب باب مفتوح ولكنهم لم يسمحوا لي بل انقضوا علي يريدون مسكي وتسليمي للشرطة.. تصور أنا أمضي للشرطة، والعاهرة يتوجونها.. صرخت بهم يا اولاد القحبة ألا تدركون مصيبتي، تخونني مع صبي وتريدون حمايتها.. لم يسمحوا لي سوى بالهذر فقد ربطوني بينهم، كل يد ساعدت بمسكي محاولة منهم كي لا أقوم، وأبدأ البحث عنها.. عن الزانية تريسا، بينما كنت في محاولاتي بالرفس والتخلص منهم، كنت أسمع صوتها يأتي من أحد البيوت وهي تحثهم على أن يتصلوا بالشرطة ويسلمونني لهم (ليسجنوا هذا المتخلف، لقد أذاقتي المر.. التعاسة، ويأتي الآن ليتهمني بالخيانة.. آه يا إلهي ماذا فعلت بحياتي!) فلم أتمالك نفسي وأنا أسمعها تنتحب وتكذب سوى أن جمعت كل قواي وطرحتهم بعيداً عني، فرأيتهم يتراكضون كل واحد إلى بيته ويسدون أبوابها دوني.. لطمت، صرخت، كسرت الأبواب وأنا أهددهم أنني لن أتركهم بحالهم إن لم يسلموني قحبتي تريسا كي أشفي غليلي منها.. لكن لا جواب، الخوف أخرسهم وكنت في كل دقيقة تمر أكثر شراسة و إنفلاتاً، لم أترك أي شتلة في الممر ولا نبتة أو مزهرية أو قطعة موزاييك هناك دون ان أرمي بها الأبواب حتى تركت الممر يرثى له من الأزبال والأتربة.. آه ويا سبعين آه.. لكنني لم احظ بها، بهذه الزانية لأريها نجوم الظهر، فقد سمعت بعد لحظات أصوات ووقع أقدام قرب بوابة البناية الرئيسية وتناهى لي أن أحدهم من خلف الباب يقول ان الشرطة قد وصلت وسيقطعون لي عضوي ويحشرونه في إستي.. نعم بحق رأسك أستاذ قالوها حرفياً وليست من خيالي.. هجت ورفست الباب الأول والثاني والثالث وهكذا غبت في شقتنا ومن هناك رميت بنفسي من النافذة الخلفية ورحت أركض بلا وجهة معينة بعيداً عن الشرطة أولاد الكلب الذين سينقضون علي ويرمونني في السجن وينتصفون لزانية مثلها، هذه هي العدالة، هل هذه عدالة بربك؟!
- مممممم.....
- أنت معي أستاذ؟
- أجل...أجل معك... يا للحكاية المروعة...
- أليس كذلك أستاذ، ولكن لتصبر علي، فلم تنته بعد
- آه، ما تزال للحكاية بقية...
- طبعاً، وهل تظن بي الحمق كي أترك الزانية تستمع بالراحة والنيك والبيت، وأنا آكل الضيم والتشرد
- طبعاً لم تفعل ذلك...
- كيف ذلك، رحمة لوالديك أستاذ، منذ لحظة خروجي من البناية هارباً وأنا لا هم لي سوى تتبع أخبار الزانية تريسا، ولا وقت عندي أمضيه غير ترقب فرصة لمعاقبتها. كان شغلي طوال الخمس سنين الأخيرة تتبع آثارها، متى تمضي للعمل، وقت خروجها، مع من تخرج، من يزورها في البيت، سفراتها، عطلها الصيفية، الشتوية، الربيعية، كنت أسجل كل تحركاتها.. ولكنني للأسف لم أستطع الإقتراب منها بعد، فالشرطة كانت تراقبني ولم أترك لهم فرصة النيل مني، كما أنها كانت محاطة بحراسة مشددة، تصور القحبة و انا أراقبها من زاوية شقة استأجرت غرفة فيها تقع أمام بنايتها تماماً، من منظار مراقبتي، رأيتها تفتح فخذيها للجميع، لكل من يقدم لشقتها، رأيت حرسها من الشرطة براحتهم في البيت، يمتطونها الواحد بعد الآخر.. ومن ثم نطلب عدالة من هؤلاء، لا بد أنها صادقتهم كلهم، ومن يغمس في طبون تريسا، لا بد أن يقع صريع فتنتها، ومن ثم في كل يوم لها حارس جديد، وعاشق و خادم ولا تخرج إلا برفقة أحدهم. كنت أعرفهم واحداً واحداً، ولكن بعد كل هذه السنين، لم أستطع تخمين عددهم، ومع الوقت بدأت أنسى أشكالهم، ولكن شكلها، الزانية، مجسماً أمام عيني لا أفارقه، وانتظر كل يوم فرصة سهو أو نسيان من احد حراسها كي تراني بمواجهتها ولا مجال حينذاك لهرب أو معاتبة، ستكون فرصتي للقصاص منها. ساحملها معي بغمضة عين، سأكمم فمها وأسحبها حتى الأحراش في المنطقة الزراعية النائية حيث أهيم متشرداً، وحينذاك سأحاسبها بتأن.
- لا تعني أنك...
- لا، لا تتصورني همجياً أستاذ، كل ما في الأمر سأعاقبها بالوحدة، سأعاقبها بعدد أيام تشردي وتعاستي.
- كيف ذلك...
- ألم تقرأ حكاية (الجلاد والضحية)، أجدني في نفس الموقف الدفاعي، القصة ذاتها
- ولكن الحكاية لا تنطبق على ما جرى معك...
- كل شيء نفسه، الظروف، الظلم، الحسرة، لا تنظر للمحتوى الحكائي فهو هش بحد ذاته، ولكن القصاص، العدالة، الإنسان ينتصر في النهاية.. أنت ناقد مهم أستاذ وحكواتي، فكيف تفوتك مثل هذه التفاصيل
- آه شكراً، ولكنني ما زلت مصراً على أن القصة لا تخرج عن أن تكون محاسبة أخلاقية في زمن ما بعد حرب ودكتاتورية و...
- وهل هناك أكثر دكتاتورية ومحاسبة اخلاقية وزمن حروب مثل التي مررت بها وعشت ظروفها بسبب هذه الزانية تريسا.
- لنقل هذا، ولكن أنت تعلم بالنتيجة، القصة تنتهي بترك كل شيء على حاله، لا دم ولا جريمة ولا ...
- أجل، أجل، هنا هو ضعف حكاية (الجلاد والضحية)، الشعور الإنساني ينتصر للخير، ولكن الحقيقة أننا لا نملك تلك القدرة الإلهية على العفو، العفو من قدرتهم هم وحسب، أما نحن البشر فمهمتنا أن نمضي في الحياة بشريط لاصق و مقص وحبل متين و قدرة مشاورة الأيام التي ستقتص لي ولن تمنح العفو للعاهرة تريسا.
- إذن نرجع من جديد إلى أنك لا تنوي فعل الشيء نفسه في الجلاد والضحية وتعفو عنها...
- سيكون كل شيء بطريقة مختلفة، مبتكرة، لن تنساها تريسا طوال ما تبقى لها من حياة، صدقني ستطلب مني بنفسها القصاص على أن تتابع تفاصيل ما أنوي لها من يوميات مبرمجة و مكتوبة منذ فترة طويلة، حتى أنني سميتها (الزانية والضحية) وهي ما يمكن أن أسميه أفضل حكاية كتبت عن العدالة بعد رواية (البؤساء)، ألا ترى أنها جديرة بأن تظهر للعلن؟.
- ألا تقول أن الشرطة تتبعك...
- لا أعني هذا، أقصد قصتي، الحكاية التي كتبت وقصصتها عليك، (الزانية والضحية)!
- تقول أنها قصة.. وحكايتك مع تريسا و...
- هي نفسها، القصة، حكايتي، الظرف الإنساني، أنت تعرف أن القصص الواقعية اليوم هي التي تحضى بجمهور واسع، قراء أستاذ، قراء.. ها ماذا قلت أستاذ؟
- عن أي شيء...
- أن تنشر لي القصة، لن أطالبك بأي مردود مالي، يكفيني أن أراها منشورة في كتاب، وليس المهم أن تحمل أسمي، الأهم أن يطلع العالم على حكاية جديدة عن العدالة.
- ولكن ما علاقتي بالنشر و...
- أنا متابع لك منذ سنين أستاذ واعرف أنك تدير مجلة وصاحب دار نشر، أفضالك على كثير من الكتاب.
- عن أية أفضال تتكلم وأي دار نشر...
- حاول، أرجوك، ليس من أجلي، بل من أجل الإنسانية. إن وجدت طبعها في كتاب عملية مستحيلة، سأمنحك حق نشرها في المجلة، لن أزعجك صدقني، فقط سأرتاح عندما أراها منشورة.
- هل تقول أن كل ما سردته لي هي القصة نفسها التي تنوي كتابتها...
- كتبتها أستاذ منذ فترة طويلة، فقط أترقب النهاية لا غير.
- طيب وما هو المطلوب...
- لا شيء، أنتظرني حتى أبعثها على عنوانك، سيكون عليك أن تنتظر قليلاً حتى أجد لها نهاية مدهشة، مشوقة، فكما تعرف أنني حتى اللحظة مازلت حائراً في إيجاد ختام ممتع، ولكنها ستجيء اليوم أو بعد شهر.. ستكون عندك في غضون فترة قصيرة، سأعتمد عليك، أنت أملي الوحيد بالحفاظ على وجودي، على نشر الحكاية!
- أقول أتفقنا، لن أهذر بالمزيد، سأحرص على أن تكون عندك قريباً. ياه...
- عفواً، هل تسمح لي بسؤال؟ منْ حضرتك إذا أمكن؟ سألته أخيراً.

كان الخط قد أنقطع، قطع، أو ببساطة أنتهت المكالمة الهاتفية.

لم أسمع شيئاً بعد هذه (الياه) التي أطلقها كرصاصة راحة أبدية.

بقيت حتى الآن أفكر ماذا قد اختار الروائي صاحب (الزانية والضحية) من نهاية لحكايته. هل من المفروض علي التأكيد على أنني لم أعرف بعد ذلك عنه أي شيء. لم يعاود الإتصال، ولم تصلني منه اية رسالة.

كاتب عراقي ولد سنة 1968 في بغداد، و مقيم في أسبانيا منذ عام 1993.

باحث ومترجم مختص باللغة والأدب الأسباني. سنة 1997 شارك بتأسيس دار (ألواح) التي تعنى بالنشر باللغة العربية وصدر عنها مجلة (الواح) الفصلية التي تعنى بالفكر والثقافة. صاحب ومدير دار النشر (آلفالفا ALFALFA) للأصدارات الأدبية والفكرية باللغة الإسبانية، التي بدأت نشاطها الثقافي بداية عام2006. حاز مؤخراً على جائزة الإبداع الأدبي الشعرية، جائزة أنطونيو ماتشادو العالمية، إسبانيا، 2009. كتب و أخرج فيلمه القصير الأول بعنوان (مقبرة) عام 2006. شارك في عشرات المهرجانات واللقاءات الأدبية العربية والعالمية. كما ترجم العديد من نصوصه ونشر في كتب و مجلات و دوريات مختلفة إلى اللغات التالية: الإسبانية،الإنكليزية، الفرنسية، الألمانية،الفارسية،الكردية، التركية، الكاتالانية، الغاليثية، الإيطالية، المقدونية، الصربية وغيرها.

له العديد من الإصدارات الأدبية من بينها: اليوم يرتدي بدلة ملطخة بالأحمر / قصص / دمشق 1996، كنوز غرناطة / رواية للأطفال / الإمارات 1997، تأطير الضحك/ شعر (بالعربية والإسبانية) 1998، ليس سوى ريح / شعر، إسبانيا 2000، إنتحالات عائلة / قصص، الأردن 2003 (ترجمة إسبانية عام 2009 صدرت في تنريفه / إسبانيا)، عصفور الفم / شعر، مدريد 2006، الكتابة بالسمارية / شعر / كاراكاس (باللغة الأسبانية) 2006، دائماً / شعر باللغة العربية والإسبانية / 2010، ومذكرات كلب عراقي / رواية / بيروت2012.

"صرخة مخ" مسرحية صامتة في الناصرية

(لنقف دقيقةَ صمت على روح صمتنا المُبَاح).. بهذه الكلمات أفتتح صفحاتُه فولدر العرضَ للمسرَحية الصامتة التي قدمتها نقابة فنانين ذي قار على قاعة النشاط المدرسي من تأليف وأخراج حيدر مكي، وتمثيل كل من حمدان حسن البدري بدور الجنرال وصفاء عبد الحسين بدور الكاتب وعلي كشاش مسخ1 وعلي قاسم مسخ2 وحيدر مكي بدور المهرج ومدير المصحة وقام بتصميم وتنفيذ الأنارة بشير ثامر.

تصدرت المسرح لافتات كبيرة متشابهة المحتوى مختلفة في الجهة واللون، حيث تعمد مخرج العمل أبقاء ستارة المسرح مفتوحة، بل أنه ألغى الحدود الفاصلة بين المشاهد وكادر المسرحية، ومنذ اللحظة الأولى تم ألغاء كل هذا من خلال ما كُتب على اللافتتين .. عبارة (مو) ثم علامة صح.. ثم كلمة (عقلَي) أسفلها عبارة ورشة عمل باللون الأخضر على يمين المشاهد ويقابلها تماما في الجهة اليسرى ذات المحتوى والكلمات الا أن اللون تحول الى الأحمر ممثلا دلالة اليسار. أعتمد المخرج على توظيف المكان بالدلالة المرجعية من ناحية اللون والآيدلوجية للمشاهد محاولاً تحشيد كل هذه الاشارات المرجعية والآيدلوجية وأبراز كل ماتحتويه هاتين المفردتين، فقد شغل اليمين باللون الأخضر أبتداءا من أسفل وسط المسرح من خلال لافتة العرض التي تُفصل بخط أحمر مشغولة اليمين بآثار الكف الخضراء المترامية على لافتة ألعرض صعودا الى اللاقط الذي حوله اللون الأخضر الى وسيلة أعلام يمينية يبث رسائله وشفراته من المصباح الذي عُلِّقَ في وسطه حال تحركه من قبل مسخ 1 الذي هو الآخر اتشح بالرداء الأخضر بل أن اللون تغطرس فغطى وجهه ليكمل شفرات ودلالات اللون الأخضر وأسقاطه على ذهنية المتلقي من خلال اللون الأحمر الذي شغل جهة اليسار من وجه مسخ 2 ووشاحه مرورا باللاقط الأحمر صعودا لعبارة اللافتة الكبيرة، وانتهاءا بالكف المرسومة على اللافته المعلقة اسفل وسط المسرح.

اعتمد الديكور على استخدام شفرات ورموز تدل على وسائل الاعلام من شاشة عرض في عمق المسرح (أسفل وسط المسرح) وصولا الى المايكرفونات التي تحولت إلى انوار ساطعه تكشف وجه المتحدث، خصوصا حين يمثل الأغلبية الصامتة بعد أن تكمم الشخصيات ويسمح لها بالكلام .. أما التدرج الشفاف الماطر من أعلى المسرح نزولا للخشبة مكون ممرا يتسع حين تقترب للجمهور ويضيق كلما دخلت للعمق لتصل الى شاشة العرض التي تتحول الى ظل للشخصيات وهي تثقب الجماجم والرؤوس لتقتنص الأفكار ، معتمدا على فضاء قاعة المشاهد باعتبارها مخزن لورشة التصليح المفترضة التي هي في الوقت نفسه (المصح العقلي).

الشخصيات التي تمارس الصمت أكتسبت ألوان أزيائها من خلال ما تمَّ رسمه لسينوغرافيا العرض فقد اتَّشَح الأبيض بالأخضر مع مسخ اليمين والشيء ذاته حل بمسخ اليسار فقد تعانق اللون الأبيض مع الأحمر ممثلا اليسار أما البياض الذي أتكأت عليه الشخصيات الباقية فقد يتغير هذا اللون بزي الجنرال العسكري

الذي يختفي حال ثقب جمجمته وسلب أحلامه والحال نفسه يقع مع شخصية الكاتب الذي يسلب منه زي المثقف المتمثل بالنظارة الطبية ويمثل سرقتهاسرقة الرؤيا للأشياء وعدم وضوح الرؤيا، وسلب بدلة الصحافة مجهولة (اللوغو) هو دلالة على سلب التعبير عن الرأي الحر.

الأنتلجنسيا العراقية

إشكاليات الوعي الملتبس

ثامر عباس

لا ريب من الاعتراف بان الحديث عن نخبة عراقية واضحة المعالم والقسمات، من منظور مفهوم "الانتلجنسيا" يعد ضربا"من المجازفة السوسيولوجية والابستمولوجية على حدّ سواء. ذلك لأن استخدام هذا المفهوم لتوصيف إشكاليات المثقف العراقي، دون مراعاة طبيعة المجتمع الذي نتحدث عنه، وسياق المرحلة التاريخية التي نقصدها، ونمط البنية الثقافية التي ندينها، يعتبر تجاوزا"لا تحمد عقباه ما لم يصار إلى توضيح الأسباب الموجبة التي ألجأتنا الضرورة المنهجية لاستخدامه هنا، على الرغم من اقتناعنا المسبق بعدم وجود مثل هكذا نخبة يمكن تصنيفها ضمن إطار ذلك المفهوم.

وإذا ما تجاوزنا المعايير الاجتماعية والمقاييس المعرفية والشروط المنهجية، التي تسبغ على شريحة المشتغلين بالأنشطة الفكرية والممارسات الثقافية تسمية الانتلجنسيا، فان المثقفين العراقيين يستحقون هذا الوصف لا لأن تلك المعايير والمقاييس والشروط تنطبق عليهم وتتحقق فيهم، بوصفهم كتلة توحدها المواقف وتجمعها التصورات وتؤلف بينها التطلعات، وإنما بالعكس لكون الخلافات السياسية، والتناقضات الاجتماعية، والتعارضات الثقافية، والحساسيات الدينية، والاستقطابات المذهبية، والعصبيات القبلية، هي السمات التي تميزهم عن أقرانهم من مثقفي بلدان العالم الثالث، مثلما هي الصفات التي تخلع عليهم هذا اللقب السامي. بمعنى إن التعارض والتناقض في الاتجاهات والتخاصم والتصادم في الذهنيات، والتنازع والتصارع في العلاقات، هي ما يشكل العوامل المشتركة التي يلتقون حولها وينخرطون فيها ويشرعون منها، وتضفي عليهم، بالتالي، طابع الانتظام البنيوي والتناغم القيمي. ومثلما إن حالة الحركة هي العنصر الثابت في قوانين الجدل الطبيعي والاجتماعي، فان الانشطار في الرؤى السياسية، والتذرر في التصورات الدينية، والتبعثر في التمثلات الرمزية، هي الشيفرة السحرية التي يمكن بالاهتداء إليها والاعتماد عليها، حلّ كل عقد الشخصية العراقية الملغزة وتشخيص حالاتها الشيزوفرينية المطلسمة، سواء تعلق الأمر بعناصر النخبة "الانتلجنسيا"، أو بمكونات المجتمع الأخرى فالأمر سيان في الحالتين. ولعل ما يشفع لنا استخدام هذا المفهوم السوسيولوجي الذي يشترط توافر مجموعة من السمات الخاصة والمواصفات الفريدة لتوصيف طبيعة النخبة العراقية، جاء من باب الاستجابة لضرورات التحليل الاجتماعي والتأويل المنهجي، وليس بناء على معطيات اجتماعية قائمة ووقائع ثقافية ملموسة وحقائق تاريخية شاخصة. بحيث نستطيع الحديث – دون الخشية من الانزلاق صوب محاذير التعميم المفرط - عن إشكاليات المثقف العراقي وعوامل اخصاء وعيه بشكل عام، دون أن تعيق مهمتنا تفاصيل انتماءاته الأقوامية المتنوعة، وولاءاته الطوائفية المختلفة، واستقطاباته القبائلية المتباينة، وتخندقاته الجهوية المتعددة على وجه الخصوص. بل إننا نعتقد إن هذه الأخيرة ستكون لنا بمثابة المرشد / الدليل الذي سيقود خطواتنا وسط تلك المتاهة البشرية التي اسمها الشخصية العراقية، بعد أن أعيت الكثير من الباحثين والكتاب في الوصول، ليس فقط إلى مكامن ازدواجيتها ونوابض مزاجيتها فحسب، بل والاهتداء إلى مفاتيح ازدرائها للرمزيات السياسية، وتطرفها في الذهنيات الإيديولوجية، وتعصبها في الاعتقادات الدينية، وعنفها في السلوكيات الاجتماعية.

الإنسان كائن تاريخي قبل أن يكون موجوداً اجتماعياً

والجدير بالملاحظة هنا إن تشديدنا على الصعوبات والمعوقات التي تكتنف عملية سبر أغوار الشخصية العراقية، لا ينبغي أن يوحي لنا بان ليس هناك من حاول – ونجح بهذا القدر أو ذاك – إماطة اللثام عن العوامل الموضوعية والذاتية، التي جعلت من الشخصية العراقية تبدو على هذا النحو من الترجرج الزئبقي والتقلب الشبحي. بيد أن معظم تلك المحاولات الجريئة والشجاعة، لم تستكمل عمليات تحليلها النقدي وتفكيكها المنهجي حتى النهاية، بحيث تضع ثوابت الوعي الاجتماعي ومسلمات الإدراك الشعبي على المحك. وإنما توقفت عند منتصف الطريق متوخية أسلوب الكسر تارة والجبر تارة أخرى، إما تجنبا"للنقد الذي قد يكشف نقاط ضعفها في تشخيص العلل ومعالجة الخلل، وتفضح بالتالي ضحالتها المعرفية هشاشتها المنهجية، وإما خشية الوقوع في دائرة التخوين الوطني والتكفير الديني، التي باتت هذه الأيام من الأساليب الرائجة للتسقيط السياسي والتهميش الاجتماعي. وهكذا نعتقد انه لا حرج – لأغراض بحثية ومنهجية - من شمول المثقفين العراقيين بمفهوم الانتلجنسيا ووضعهم تحت طائلته، بحيث يمكن اعتبار إن ما ينطبق على بعضهم من صفات وسمات ينطبق على البعض الآخر، وان ما يعانيه قسم منهم من ممنوعات موضوعية وممانعات ذاتية يسري على بقية أقرانهم من الأقسام الأخرى.

سلطان الممتنع التفكير فيه:

ليس هناك ما هو أشد ضررا"لبنية الوعي وأكثر إعاقة لتطور الثقافة من الوقوع في دائرة سحر سلطان "الممتنع التفكير فيه"، أو الانزلاق نحو غواية فتنة "المستحيل الاقتراب منه". ليس لأن ذلك يتعلق بالقضايا الحميمة ويتصل بالمسائل الحساسة، التي تتمحور حول خصوصية الإنسان وطبيعة علاقاته الاجتماعية، حيث محظورات الهوية ومستورات الذاكرة وتابوات المخيال ومحرمات الدين فحسب، بل ولكونها تعطي الانطباع للمرء بان هذه القضايا وتلك المسائل، نابعة من صميم الذات وكينونتها وليست مفروضة من طرف الآخر الجواني أو البراني. بمعنى أنها نابعة من وحي الإرادة الفردية والوجدان الشخصي، قبل أن تكون تعبيرا"عن متطلبات الإرادة الجمعية ومستلزمات علاقاتها. ذلك لأن الإنسان ليس وليد لحظته التاريخية المعطاة، ولا نتاج بيئته الاجتماعية القائمة، ولا صنيعة أوضاعه الثقافية السائدة فحسب، إنما هو صيرورة جدلية لامتزاج الماضي بالحاضر، وكينونة نوعية لاختلاط التاريخ بالمخيال، وتكوين فريد لتداخل الوعي بالخرافة، ومعطى متميز لتشابك الدين بالأسطورة، ومخلوق محيّر لارتباط المقدس بالمدنس. بحيث إن تقييمه لديناميات الواقع الملموس ونظرته لأواليات المجتمع المعيش، غالبا"ما تكون حصيلة لهذه السبيكة/ الجدلية من التصورات الانطولوجية المتعددة، والمعطيات السوسيولوجية المتنوعة، والخلفيات الانثروبولوجية المختلفة، والمؤثرات السيكولوجية المتباينة. وبالرغم من اعتقادنا بهذه الحقيقية واقتناعنا بصوابيتها من الناحيتين المعرفية والمنهجية، إلاّ إننا قلما نشرع منها أو نادرا"ما نضعها في اعتبارنا، حين يتعلق الأمر باستقراء المواقف واستنتاج التصورات التي يتصرف الناس وفقا"لها ويتواصلون بناءا"عليها. للحد الذي نتجاهل معه حقيقية أن الإنسان كائن تاريخي قبل أن يكون موجود اجتماعي، الأمر الذي يجعله أشبه ما يكون بالاحفور الذي تراكمت فيه وحوله طبقات من طمى الماضي ؛ الطبيعي/ الحيواني، والأسطوري/ المخيالي، والديني/ الفلسفي، والاجتماعي/ الحضاري، الثقافي/ الرمزي، والأخلاقي / القيمي، والفني/ الجمالي. ولذلك غالبا"ما نفسر تلك المواقف ونعلل تلك التصرفات، من منطلق معطيات الحاضر دون خلفيات الماضي وتوقعات المستقبل، ومن زاوية صراعات السياسة دون ملابسات التاريخ والتباسات الهوية، ومن باب تصدعات الاجتماع دون احتقانات الثقافة وهيجانات الدين. ولذلك ينبغي – حين نعتزم تحليل ودراسة إشكاليات المثقف العراقي المعاصر – ألا نكتفي بالاعتماد على نمط خطابه الثقافي الموجه ضد خطاب السلطة السياسية ومناوئة ممارساتها، إذ إن كليهما يحتكمان لمصدر واحد حتى وان تعارضت مواقفهما حيال الواقع، ويمتحان من معين مشترك حتى وان تضاربت مصالحهما إزاء المجتمع. وإنما يفترض الشروع من نقطة البداية والانطلاق من الأسس، حيث بنى الوعي الفاعلة وأنظمة الفكر الناشطة، تعلب الذهنيات وتنمط التصورات وتنمذج السلوكيات وتؤطر العلاقات. بصريح العبارة أن يصار إلى النبش في السرديات الأسطورية، والحفر في الذاكرات التاريخية، والتنقيب في التمثلات المخيالية، والتعرية للاعتقادات الدينية، والإزاحة للتراكمات النفسية، والتفكيك للارومات الأصولية. والملاحظ على تلك البنى التحتية والأطر الجوانية والأنماط العميقة والأنظمة المخفية، إن أواليات اشتغالها لا تعمل على مستوى الفرد الذي يحاول النأي بنفسه – دون جدوى - عن صخب التفاعلات وضجيج الصراعات، بقدر ما تنشط على مستوى الجماعات المختلفة والمكونات المتباينة، التي تحدد بأنساق فكرياتها المشتركة، وأطر علاقاتها البينية، وأنماط مصالحها التوافقية، وأفاق تطلعاتها المستقبلية، طبيعة المجتمع المعني بحيث تضفي عليه الخصوصية الحضارية والإنسانية التي تناسبه وتميزه في آن. ولعل هذا الأمر خاضع لجدليات "المجايلة التاريخية""4" التي تحدث عنها المؤرخ العراقي المعروف "سيار الجميل"، ليس فقط بالمفهوم الزمني / التحقيبي "الكرونولوجي" فحسب، وإنما بالمفهوم المعرفي / التراكمي "الابستمولوجي" أيضا". وهو ما يستتبع تقطير الأفكار في اللاوعي، وتكثيف التصورات في المتخيل، وتخزين المعلومات في الذاكرة، وتثخين الانطباعات في الوجدان، بحيث يغدو من الصعوبة بمكان على الفرد كما الجماعة، التحرر من تأثيرها والتخلص من إيحائها والإفلات من توجيهها. ولأن كل ما يقع ضمن نطاق المجايلة التاريخية ويدخل في إطارها، ينتمي إلى حقل المحرمات الدينية والتابوات الأخلاقية والممنوعات الاجتماعية والمحظورات النفسية، التي أضحت بحكم التقادم والتراكم من عوامل سيرورات المجتمع وضرورات بقاءه، فقد ترتب أن تحفر لها أخاديد غائرة في بنية الوعي الفردي، كما وتستقر في بطانة السيكولوجيا الاجتماعية. بحيث إن أي محاولة تستهدف الكشف عن طبيعة الكينونة المعيارية "الشخصية الاجتماعية" للمجتمع، لا مناص لها من الرجوع إلى الأصول المنسية والجذور المهملة، ليس فقط للوقوف على مدى تأثيرها في التنميط ومعرفة حجم إسهامها في التحنيط فحسب، ولكن بالإضافة إلى ذلك لإماطة اللثام عن عناصر تكوينها في بنيات الوعي، ومقومات تشكيلها في منظومات الثقافة، ونوابض اشتغالها في سساتيم الفكر، وآليات تأثيرها في أنماط السلوك. وبالرغم من كون أن هذه الأصول وتلك الجذور تمارس فعلها وتفرض سلطانها بالتوافق مع شبكة / نسيج من العادات الضابطة والتقاليد الحاكمة والأعراف المسيطرة والقيم المهيمنة، التي لا حياة لمجتمع ما من دون التمسك بها والمحافظة عليها والمنافحة عنها ؛ لضمان ترابطه الاجتماعي، وصيانة كيانه الحضاري، والمحافظة على وجوده الإنساني. إلاّ أن نتائج هذه الأخيرة تتمظهر في خضم العلاقات اليومية بصيغة خطابات بينية، وتتبلور في أتون التفاعلات الآنية على شكل تعاملات متبادلة، الأمر الذي يضفي عليها طابع المرونة في التغيير والمطاوعة في التحوير، بحيث تبقى محايثة لمعطيات الواقع ومواكبة لإرهاصات المجتمع. هذا في حين نجد إن حصائل الأولى – بحكم طبيعتها النوعية - تميل إلى إخفاء دورها في الأطر الاجتماعية، والتمويه على وظيفتها في البنى الفكرية، والتعتيم على تأثيرها في الأنساق الثقافية. وهو الأمر الذي يمنحها قدرات فائقة لا في مقاومة التحويل في العلاقات والتبديل في التواضعات فحسب، بل ويعطيها أفضليات عالية في الأقنمة للتصورات والأصنمة للذهنيات، بحيث يمكنها هذا الامتياز من التلاعب بالدلالات والعبث بالسياقات، للحدّ الذي يسهل عمليات انتقال محتواها من حقل الواقعي / التاريخي إلى مجال الرمزي / المخيالي، ومن ميدان المدنس / المباح إلى مضمار المقدس / المحرم، ومن إطار الممنوع الموضوعي / السوسيولوجي إلى نطاق الممتنع الذاتي/ السيكولوجي، ومن دائرة خطاب الثقافة إلى رحاب بنية الوعي. من هنا تبدأ عمليات اجتياف بطيئة ولكنها منتظمة على الصعيدين الشعوري واللاشعور ؛ إما عن طريق "المثاقفة الحضارية" وهذا ما ينهض به المجتمع عبر مؤسساته التعليمية والتربوية والإعلامية، أو بواسطة "المجايلة التاريخية" وهذا ما يسهم به التاريخ عبر أرشيفه، والذاكرة عبر مخزونها، والمخيال عبر تمثلاته، والدين عبر محرماته، والثقافة عبر سردياتها، والهوية عبر أصولياتها، والفولكلور عبر أشباحه. وإذا كانت هذه المعطيات وتلك الخلفيات تنطبق على أغلب المجتمعات الإنسانية الحديثة والمعاصرة – دع عنك المجتمعات القديمة التي هي الموطن الأصلي لتلك الفعاليات والممارسات – من منطلق تشابه سيروراتها في التكوين وتماثل جدلياتها في الانوجاد. فإنها تكاد تتجلى بنحو فريد وصارخ في المجتمع العراقي، ليس من باب كونه شاذ عن القواعد السوسيولوجية العامة ومنحرف عن الأسس الانثروبولوجية المشتركة، وإنما من واقع استمرار ارتهانه لأطياف للماضي أكثر من تحسبه لأكلاف الحاضر، واحتكامه لملابسات الموروث أكثر من التزامه بمتطلبات التحديث، واستجابته لإيحاءات الأباطيل الخرافية والأسطورية أكثر من إصغائه لصوت الضرورات العقلانية والعلمانية. ولعل من أبرز مظاهر تلك المصدات الجوانية والكوابح الخفية، التي تسيّر الإرادات وتوجّه الخيارات وتتحكم بالقناعات وتؤطر الخطابات، فان الممانعات الذاتية التالية هي ما يتصدر قائمة اهتمامات وتوجهات، ليس فقط شريحة الانتلجنسيا العراقية بمختلف أصولها السوسيولوجية وأطيافها الإيديولوجية ومستوياتها الابستمولوجية فحسب، بل وتستحوذ على أولويات وتطلعات الغالبية العظمى من مكونات المجتمع العراقي، بصرف النظر عن انحداراتها الاجتماعية/ الطبقية، ومعتقداتها الدينية/ المذهبية وانتماءاتها القومية/ الاثنية، وولاءاتها السياسية / الحزبية، وأروماتها القبلية/ العشائرية، وجغرافياتها الجهوية/ المناطقية، وثقافاتها الفرعية / الهامشية، وهوياتها التحتية/ البدائية.

ضوء على صحافة ديالى

سالم الزيدي

عرفت ديالى الصحافة خلال فترة الحكم العثماني للعراق حيث كان الأفندية (الموظفون العاملون في دوائر الحكومة) يحملون معهم الجرائد التي كانت تصدر في بغداد واسطنبول وأبرزها كانت (صحيفة الزوراء) التي صدرت بتاريخ 15 /6 /1869 في عهد الوالي العثماني مدحت باشا والتي تم اعتبار تاريخ صدورها عيد للصحافة العراقية فيما بعد. ولا يمكن لأي باحث مهما كان متبحرا ان يحدد التاريخ الذي وصلت فيه أول صحيفة إلى ديالى بصورة دقيقة لكن هناك عوامل سياسية واجتماعية وثقافية ساعدت على نشر التعليم وخاصة فتح أول مدرسة في ديالى عام 1886 تحمل أسم (مدرسة عين كاوة) في مدينة خانقين، ثم مدرسة الرشيدية عام 1891 في مدينة بعقوبة وأثرت بشكل إيجابي على التوجه للتعليم والاهتمام بالقراءة ومتابعة الاخبار والصحف.

ويتذكر أبناء بعقوبة الشاعر ملة عبود الكرخي الذي كان يزور بعقوبة خلال الثلاثينات من القرن الماضي حيث كان يقوم بتوزيع مجلته (حبزبور) على المتعلمين من أبناء بعقوبة والهويدر وخرنابات. وكان (خضوري حسقيل) الذي يعتبر أول بائع صحف ومجلات في بعقوبة حيث كان يجلب الصحف والمجلات الى بعقوبة ويقوم بتوزيعها على المواطنين وتتلمذ على يده الصبي (محمد قدو) الملقب (فرهود أبو الجرايد) الذي استمر في عمله كبائع صحف من ثلاثينات القرن الماضي حتى عام 1960 وتوقف عن العمل لانتقاله إلى بغداد.

وظهرت أسماء كبيرة في عالم الصحافة من كتاب وأدباء نشروا نتاجاتهم الثقافية والأدبية وعملوا على نشر اخبار ديالى في الصحف والمجلات وتأسيس جرائد تصدر في المحافظة فيما بعد وكان أبرزهم المرحوم عبد المسيح ثروت وحسين مردان وحسن فليح البياتي وياسين البزاز والمحامي ياسين حسين وخضير العزاوي وسالم الزيدي وسليمان البكري وسعدون شفيق.

وقد صدر أول مطبوع في ديالى يحمل أسم (مجلة القصة) في كانون الثاني عام 1968م عن (أسرة القصة) وكانت مجلة تصدر كل شهرين مرة تعنى بالأدب القصصي وتحمل شعار (القصة فكر مفتوح لكل تجارب الأدب القصصي) وهيئة التحرير تتألف من سالم الزيدي رئيسا للتحرير وسليمان البكري وياسين حسين وحسين الجليلي، وصدر منها ثلاثة أعداد وتوقفت بسبب مضايقات من قبل أجهزة السلطة انذاك.

وفي نيسان عام 1968 تأسست في بعقوبة فرع من مؤسسة البصام للسينما والمسرح التي كانت تصدر عنها صحيفة بأسم (الفنون المعاصرة) رئيس التحرير مؤيد البصام وانتقل إصدار الصحيفة من بغداد إلى بعقوبة، وصدر منها ستة أعداد وتوقفت بسبب صدور قانون جديد للمطبوعات.

في 3 شباط 1969 حصل سالم الزيدي على موافقة لصدور جريدة بإسم (المدينة) حسب كتاب متصرفية ديالى المرقم 2371 وهي جريدة ثقافية عامة، وشارك معه في التحرير السادة عبد الحليم عبد الكريم المدني وأسامة الصالحي ومنذر عبد الجليل الجنابي. وفي عام 1969 صدر في جلولاء مجلة (فريال) رئس تحريرها الصحفي محمد امين السعداوي.

في خريف عام 1999 صدر عن الاتحاد العام للأدباء والكتاب في ديالى مجلة تحمل أسم (ألق) وتحت إشراف السيد عبد الحليم عبد الكريم المدني وهي مجلة ثقافية تعنى بمشهد ديالى الثقافي.

في عام 2001 صدر في بعقوبة جريدة (أشنونا) ورئيس التحرير الدكتور علي الشمري وهي جريدة تصدر عن محافظة ديالى وتوقفت عن الصدور عام 2003.

وصدر في تشرين الأول عام 2001 صحيفة أسبوعية بأسم (النبع) بإشراف سعد عبد الجبار.

وتوقفت بعد 9 /4 /2003 وفي ظل الاحتلال صدر في بعقوبة الصحف والمجلات التالية :

1. جريدة اقرأ التي صدرت في قضاء الخالص في عام 2003والتي كانت الزميلة سميرة الشبلي رئيسة لتحريرها والصحفي مهدي شعنون سكرتيرا للتحرير واستمرت لمدة عامين ثم توقفت بسبب الظروف الامنية.
2. جريدة ديالى وصدرت منتصف عام 2003 ورئيسة تحريرها الاعلامية هناء الداغستاني.
3. جريدة ديالى اليوم وصدرت عام 2004 واشرف عليها الاعلاميان حسين التميمي وعلي الصوفي.
4. جريدة (الشرق العربي) في شباط 2004 ورئيسة تحريرها هناء الداغستاني وهي جريدة أسبوعية سياسية عامة.
5. صحيفة (الأنباء) وهي جريدة أسبوعية جامعة، صاحب الامتياز ورئيس التحرير زكي السعدون.
6. جريدة (البرلمان) ورئيس تحريرها عمر الدليمي وهي جريدة سياسية عامة تصدر عن مجلس المحافظة.
7. جريدة بني سعد التي صدرت في عام 2005 واشرف عليها سميرة الشبلي ومهدي شعنون واستمرت لمدة عام ثم توقفت بسبب الظروف الامنية.
8. جريدة (ديالى) وهي جريدة اسبوعية صدرت في عام 2009 ومازالت مستمرة بالصدور واشرف عليها الزملاء فخري العبيدي ومهدي شعنون وعلي الصوفي ونخبة من الصحفيين.
9. مجلة (ديالى) صدرت عن قسم الإعلام في ديوان المحافظة واشرفت عليها الزميلة سميرة الشبلي والصحفي علي الصوفي.
10. جريدة (الحدث) وهي أسبوعية صدرت عن جماعة العلماء والمثقفين في ديالى.
11. جريدة (الرافد) وهي جريدة سياسية ثقافية اشرف عليها الصحفي محمود الجبوري وتوقفت بعد عامين من صدورها.
10. جريدة (الحياة اليومية) ورئيس تحريرها وصاحب الامتياز حسن قاسم صدرت خلال العام الحالي.
12. جريدة (المصير) الأسبوعية صدرت عن الجبهة التركمانية العراقية وتغير أسمها إلى (إنجي) ورئيس تحريرها نهاد البياتي.
13. جريدة (صدى المقدادية) وهي جريدة أسبوعية عامة صدرت عن قائمقامية قضاء المقدادية ورئيس تحريرها رعد شريف جاسم.
14. وصدرت في قضاء خانقين صحف ومجلات باللغة الكردية عن الأحزاب ومؤسسات المجتمع المدني.
15. واصدرت هيئة استثمار ديالى صحيفة شهرية بعنوان (استثمار واقتصاد) يرئس تحريرها مجول الطائي ومدير تحريرها كاظم النداوي.

وعلى صعيد متصل تقوم مؤسسات حكومية بإصدار مجلات ثقافية وعلمية وأدبية وتعتبر جامعة ديالى أكثر المؤسسات عطاء واستثمارا للإمكانيات المتوفرة لديها من طاقات بشرية ومادية ومن المجلات التي صدرت عنها مجلة صدى الجامعة. وتقوم المديرية العامة لصحة ديالى بإصدار مجلة العلمية تعنى بالأمور الصحية والطبية. وتساهم المديرية العامة للتربية بإصدار جريدة تربوية. وصدرت عن المديرية العامة لشرطة ديالى مجلة بإسم (حماة ديالى) ورئيس تحريرها المقدم غالب عطية الجبوري.

وعلى صعيد الصحافة الالكترونية فقد كانت وكالة أقرأ برس اول وكالة محلية على شبكة الانترنت تختص بأخبار محافظة ديالى واستمرت لمدة 3 اعوام واشرف عليها الزميلين سميرة الشبلي ومهدي شعنون.

حنون مجيد في "يموتون ولا يموت"

التكثيف السردي وجبروت الايحاء

عبد العزيز لازم

يكثف "جيسون غلري" رؤية مثيرة للجدل حول قصة الومضة وإن تكن غير حاسمة فيقول : "ما ان يحل الابهام في الشقيقة الصغرى لقصة الالفين كلمة التقليدية ، تقلل قصة الومضة من أهمية هذا الابهام لتنشغل في وضعها الجديد وهو التعريف الفكري الصعب ." وهذا يعني انها اولا انبثقت من حضن شقيقتها القصيرة الحديثة وثانيا انها تواجه معضلة التعريف بجنسها فهي لا زالت تثير الجدل ولايوجد اتفاق صارم على تعريفها .، بل انها تجد وشائج متعددة مع قصيدة الومضة اي ان الشعر يجد فيها بعض صوره . لكنها تتميز بارساء البداية الصلبة والنهاية الفجائية.مع ذلك استطاعت القصة القصيرة جدا ان تكتشف منفذها و طريقها لتنساب بين تضاريس الادب وتتخذ طابع الهيمنة احيانا .

أيضا

من الواضح ومثير للجدل انها لم تبرز على انقاض شقيقتها القصة القصيرة الحديثة بل يجوز انها انبثقت منها دون ان تكون بديلا عنها ، فهذه الاخيرة لازالت تحتفظ بسطوتها ضمن مملكة السرد والشعر السردي ايضا.

القاص والروائي حنون مجيد بدأ مشواره مع القص مطلقا مجاميع ليس اقلها " تعاقب الفصول " و" البحيرة" و" الطائر " و" لوحة فنان " وروايتي " المنعطف" " و"مملكة البيت السعيد ". فضلا عن مسرحية " الملك في عزلته "وأخيرا صدرت مجموعته " الخيانة العظمى" مكرسة للقصة القصيرة جدا . لقد هيمنت على اعماله جهود الانارة الداخلية ليس للشخصيات فقط بل وللعلاقات الاجتماعية ايضا . تحاول اعمال حنون مجيد وضع التغيرات المصيرية الشخصية والاجتماعية في اطارها الاسطوري من خلال الاشتغال على حرارة الاحداث في سياقها المشروع وضوضائها الممكنة ومن خلال الشحن الدلالي الدافع لها نحو مصائر مفتوحة . لذلك تحقق ذلك الانفتاح السلس بين القصة والقصة القصيرة جدا والرواية والمسرحية على يديه دون أن تنقطع الوشائج السردية بين هذه الاجناس رغم ان كل منها تمتلك خصائصها المستقلة كاعمال فنية . ان حنون مجيد في مجموعتة " يموتون ولايموت "يريد ان يقنعنا بان الجمال الذي ترشه الايحاءات والمعاني البعيدة يمكن ان يوجد حتى في اكثر الاشياء بساطة . وقد وجد ميدانه الممكن في إثبات ذلك في القصة القصيرة جدا التي اكتسبت تسمية آخرى هي قصة الومضة .

الجمال يمكن ان يوجد حتى في اكثر الاشياء بساطة

والثابت تاريخيا ان التسميات التي اطلقت على هذا الظرب من القص قد تعددت وتفرعت وهذه احدى سمات تعريفها المثير للجدل فالصينيون يطلقون عليها احيانا تسمية طريفة هي "قصة السيكارة " بمعنى ان القارىء يستطيع قرائتها بينما يدخن سيكارته. وهناك تسمية طريفة ايضا تحاول تحديد شكلها الفني ، اطلقتها "ليلي غوزمن " فتقول انها "ذات العظام العارية" و تريد بذلك ازالة هدوب الزينة وشرائط الزخرفة ثم تحدثت عن بداية ووسط ونهاية للقصة القصيرة جدا . وبالنسبة لي " كاتب هذه المقالة " استطيع تسميتها "قصة الحافلة" فانا مثلا قرأت معظم قصص المجموعة وانا في الحافلة ، خاصة وان تلك الحافلة تتطلب فترة طويلة كي تكمل رحلتها وإن خطر تفجيرها قائما مما يجعل موضوعة الموت الى جانب القوت حاضرين . وهما موضوعا تأمل شاسع في جسد المجموعة .

الملفت ان المجموعة قد وضعت في فترات متفاوته بدأت من عام 2001 " إحتفال بموت" واختتمت بمجموعة كتبت على امتداد عام 2011 . وهذا يعني ان مجموعة القصص القصيرة جدا لدى الكاتب قد التقت على اساس ذات القاع الفكري والوجداني الذي احتضن اجناسا سردية اخرى كتبها حنون مجيد خاصة القصة القصيرة جنبا الى جنب مع صدور رواية " مملكة البيت السعيد " ضمن تلك الفترة الزمنية ، بعد أن ظهرت رواية " المنعطف" في فترة مختلفة .

إن إمكانية تسمية القصة القصيرة جدا "بقصة الحافلة" وارتباط ذلك بالقوت والموت المجاني ، هي تصريف عراقي بامتياز ، فالكاتب اختار ثيمته من البيئة العراقية وتوسع فيها ليلقيها على امتداد الساحة الإقليمية بله الكونية . ولأجل اجلاء الغموض الذي اكتنف عنوان هذه المقالة نقول ان قصة "يموتون ولايموت " مشحونة بالتمجيد الازلي للثقافة والمعرفة باعتبارهما كشفا متواصلا لحقائق الحياة ووقائع الانسان وهذا يعصم صاحبهما من الموت . إن ثيمة استمرار العارف والمثقف بالحياة حتى بعد موته المادي هي ثيمة واقعية جدا تناولها القصص الشعبي الملحمي العراقي والعالمي ، لكن ما يميز عمل حنون مجيد هو ذلك الظرب من البسالة الممركزة على التمسك بالثقافة والمعرفة وإعلاء قيمتهما في حياة الناس رغم هيمنة اولويات متسعة اخرى في حياتهم تتعلق في الامن الشخصي المهدد والقوت النزر والصعب . باستعارة الكاتب تقنيات اضافية من المسرح في هذه القصة يكون قد قذف بالمزيد من الحطب في تنور الدراما السردية دون ان يكون ذلك على حساب هوية القص القصير جدا وبذلك انقذ عمله من مسحة الوعظ الممكن بان نقل شغله السردي الى لسان كورس يتسم بالنشاط المكثف . يواصل الكاتب تمجيده المتصاعد للثقافة عن طريق وضعها في مكان يحتضن المعنى الاقصى الذي يمكن ان يتوصل اليه الانسان في مسيرته الحياتية لانتاج الجمال ، ففي قصة " رد من عسل " مرقمة 53 يجري حوارا طريفا مختصرا بين شخصين لا تتضح هويتهما لكن احدهما ينتصر لقيمة الحكيم هوميروس العالية ويستنطق صورة مادية لتوضيح قضيته حول ذلك ، فالعسل يتصبب من فم هوميروس حين يتحدث وهذا هو ما يميزه عن رجل طموح آخر لايملك مقومات الطموح .الصورة هنا تتضمن احد المميزات البارزة للقص القصير جدا وهو عنصر الصدمة القائم على المفارقة . لنلاحظ ان الكاتب يحاول تثوير الجانب الدرامي لعملية التامل راسما اجواءا مناسبة لتحقيق ذلك مخاطبا عقل المتلقي باكبر قدر من الدماثة ، بل انه يبدو في غير عجلة من امرة مانحا المتلقي الوقت الكافي لعملية التامل التي هي بطبيعتها لا تزدهر الا في الفسحة الرحبة . ان تأمل الاشياء عند حنون مجيد لا تعتمد على حساب الحقائق المطروحة وربطها ببعض باسلوب الرياضيات الجامدة ، بل ان ذلك لايتم الا في اجواء الشحن الوجداني النشيط رغم سمتها الرياضية الفلسفية . فقصة " غنيمة هذا اليوم " تشتغل على كوميديا المصير الأزلي للانسان الى الحد الاقصى فهناك حشرات تنتظر ان يموت السارد كي تنعم بغنيمة دسمة ، لكن السارد حين يخاطب النمل المتزاحم يخلق مكونات سؤال كوني حول قضية الموت . سؤال ربما لايمكن الاجابة عليه رغم ان الانسان لايكف عن طرحه . تتكرر موضوعة الموت في أكثر من قصة وتتكرر معها موضوعة القوت باعتباره عامل اساسي لاستمرار الحياة المادية . وتحاول القصص اثارة حوار ذي مسحة فلسفية حول تلك الظاهرة كما تعلن القصة رقم 60 بعنوان " إحتفال بموت " . فباستخدام عنصر الصدمة يقرر ذلك الكائن الحكيم وهو طائر اللقلق الذي اكتسب عنوانا يفيد بانه لقلق القرية لتصوير علاقته الطوعية المتفق عليها مع قرية مستقرة تقرر مواصلة الحياة . لكن حكيمها يقرر مغادرة الحياة وتقرر كائنات الماء التي اعتادت على العيش في ظل وقفته المهيبة أن تشارك في الاحتفاء بموته .

يعزز الكاتب خزينه المعرفي الدرامي بمزيد الاستعارات من الموروث الشعبي الذي يكون عادة متخما بدروس الحكمة التي يستمتع الناس في تداولهم لحكاياتها في مجالسهم . قصة " مداعبة " تكور بثها الدلالي من خلف حكاية شعبية تؤسس لموقفين ثقيلين يتخذهما رجلان وجدا نفسيهما في بؤرة حدث جمع بين الممكن المقبول والممكن المرفوض . لكن ارتجال الموقف الصعب انتصر للتوافق المناقض للتناحر . ونشير الى ان هذه القصة افتقدت مايكملها وهو ما سنجده في الترجمة الانكليزية للدكتور عبد الواحد محمد مسلط .ونعثر على الحكاية الشعبية في قصة "اسكنجبيييل " المستعارة من حكاية عن اللبن وليس شراب الاسكنجبيل . ولكن الكاتب استطاع اكتشاف رنين خاص يمكن أن تطلقة المفردة التي اصبحت عنوانا للقصة بعد مضاعفة حرف الياء مرات عديدة لاطلاق الصوت الساخر وليتمكن من تحميلها دلالة مطلوبة من جهة ومن اخضاعها لمقتضيات اللفظ المكتوب القادر على اطلاق الضجيج الطريف والمنطقي في جسم الحكاية من جهة أخرى ، وهي حركة تمثيلية عالية التعبير بسبب قدرتها على تحويل الحرف الى صوت مبثاث وعالي الشحن، ومعروف ان صوتي "س" و "ك" هما من الاصوات المرنانة في العربية .

إن البحث عن الرنين الداخلي في الكلمة او في الحرف لا يوضّف فقط في استنفار طوفان السخرية الذي ساد معظم القصص ، بل وفي تأثيث البنية السردية بمبثوثات المفردة اللفظية بوضعها في سياق جديد ، كما يحصل في تكرار مفردة "يموت " في قصة " يموتون ولا يموت" لخمس مرات بعد ان ترتقي الى قمة لفظية صائته داخل الجملة السردية مهدت لها مفردات أخرى اتبعت ذات التواتر " ياكل ويشرب وينام ثم يموت " وتصاعدت دراما الدلالة عندما حلت كلمة "لا" محل "ثم" فاصبحت التركيبة الجديدة " ولايموت" . بذلك وصل الرنين الى نقطة التكامل المطلوب .

ويمكن ملاحظة تقلبات لفظية أخرى في قصة "....والصياد يتقلى" يلجا الكاتب هنا الى خلق فراغ محجوز بنقاط ويقذف بوعد مؤجل بملئ الفراغ بمفردة اخرى ونكتشف ذلك في الختام فتبرز تركيبة " العصفور يتقلى ..." باعتبارها التركيبة الموعودة لإكمال اللحن المراح الذي تطلقه التركيبة الجديدة " العصفور يتقلى والصياد يتقلى ". نحن امام تجربه سردية ذات طابع استثنائي لانها استطاعت مطاوعة الرؤى الفلسفية الصعبة لتسكن نسيجا سرديا عالي الامتاع وعميق التعليم .

رواية "الذباب والزمرد" لعبد الكريم العبيدي

الحكي المستشمر لتقنيات السيرة الذاتية

علوان السلمان

لامتلاك معارج الكتابة الإبداعية المتجاوزة لابد من "امتلاك الخبرة والملاحظة والخيال".. فضلا عن اللغة على حد تعبير وليم فوكنر.. والكتابة الروائية الخالقة مرآة العصر التي نستقريء فيها اللحظة والذات والذات الجمعي.. كون عملية الخلق الإبداعي لا تتم إلا عبر تفاعل التجربة في أعماق الذات حتى نضجها الشعوري بإسهام الخيال كقوة خلاقة في إضاءة التجربة ونسجها مجسدة بلغة شفيفة بعيدة عن التقعر..

و"الذباب والزمرد" الرواية التي نسجتها أنامل مبدعها عبدالكريم العبيدي وأسهمت دار ميزوبوتاميا في نشرها وانتشارها/2014.. والتي يقوم بناؤها على أحداث ومواقف تتثال عبر خطوط الزمن من ذاكرة السارد.. لذا خلت من الحدث المحوري وركزت على البيئة المكانية والتركيبية الإنسانية.. بفصولها المورفولوجية العشرة التي تحمل عنوانات رقمية تبئر طبيعة الحدث وشكل الرواية المعتمدة في استطلاع تفاصيل التجربة الحياتية التي تعد قواما لبيئة عامة تشكل مسار الوعي الذاتي والذاتي الجمعي الآخر.. والحياة بكل تفاصيلها.. ابتداء من العنوان العبارة الاختزالية للمتن النصي والتي تشير بالكثير من المعاني عبر "فونيمين" مرتبطين بحرف عطف وهما يشكلان جملة اسمية لثنائية متناقضة تحمل دلالتين، أولهما حقيقية وثانيهما تأويلية وقد تردد بمكونيه داخل المتن الحكائي وتحضر على الغلاف الأخير.. هذا يعني أن اختياره كان بقصدية مسبقة..

"لكنني ما زلت أتساءل:هل حقا أن الإنسان عاطفة لا فائدة منها؟، لا انه أوطأ من ذلك.. انه ذبابة.. نحن وعبيد نيرون من شجرة واحدة.. ذباب ذليل يصنع نشوة الملوك التي لا يصطادها إلا زمردهم.." .

والتي فرشت روحها على خلفية خضراء تعود بمحمولاتها الدلالية للطبيعة والأمل والحياة والرغبة في التغيير.. والتي شكلت واجهة الغلاف المتميزة بطابعها الدلالي الايقوني الذي يضيف للنص أو يختزله كدلالة مكثفة.. باحتضانها العلامات البصرية واللسانية والتشكيلية الثقافية لترسيخ المتن النصي متمثلة في الأشكال والتراكيب بشكل يمزج النسقين اللفظي والبصري في بناء النسق الدلالي.. فهناك اسم المنتج "المبدع" وقد اعتلى العنوان الذي توسد الجنس الإبداعي ولوحة تشكيلية "بوستر" بخطوطه المكثفة والموجزة "أسلاك شائكة تقف بوجه ثلاث من الجواهر الزمردية المختلفة الأشكال".. أما الغلاف الأخير فقد اقترن بالواجهة الأمامية اقترانا عميقا عبر اللون الأخضر مع نص من المتن بجانبه الأيمن عنوان الجنس الأدبي باللون الأبيض دلالة النقاء.. وقد علتهما صورة المؤلف.. وهذا يعني أن الغلاف بواجهتيه يتجاوز وظيفته التداولية ويقوم بمهمة إيحائية لخلق أفق تأويلي..

"نحن ذباب لا يستحق الهش.. لابد من "لا" واحدة في هذا الطنين البارد.. لا لمرة واحدة.. إننا نقف بالضد من كل ما يدور من حولنا..ولكن مرارة هذا الكره لا ينبغي أن تقودنا إلى اليأس بل إلى المزيد من الثقة بأنفسنا.. إلى تفاؤل يعيد توازننا فمن الضروري أن نعيد صياغة الإنسان والواقع معا.. وأن لا ندع الأحداث تتشكل وتتكشف في الخارج من دون تدخلنا.. لابد من التأثير في صياغتها وفق ما نريد لا أن ندعها ملكا صرفا له.. انظروا إلى صورته.. التفتوا وأمعنوا النظر إلى صورة سيدكم يا معشر عبيد نيرون.. انه يبتسم، أتدرون لماذا؟، لأنه يراكم ذبابا.. ولأنه يثق بما تعكسه بلورة الزمرد.. يا لبؤسه.. إن للذباب طنينا آخر غير هذا الذي أدمن مولانا على سماعه.. انتظروا صرخة الذباب.. كونوا صرخة.. امحوا هذه الابتسامة عن لغديه.. قولوا له إنكم لستم ذبابا.. لستم ذبابا ولو بالتمني.. هذا ليس هذيانا.. انه البشير.. البشير الذي لاح للفلاح العجوز في فجر يوم مولدي.." . ص61

فالنص يمثل الذات الإنسانية بكل تمفصلاتها الدلالية والإيحائية عبر سرد ينمو نموا تصاعديا متوترا ابتداء من نقطة الشروع وهو يمازج بين نسقين فنيين: أولهما واقعي وثانيهما تخييلي مما دعا إلى تأرجح الذاكرة ما بين الاقتراب والابتعاد من لحظات الذكرى والتذكر والبحث في عمق المكنون الإنساني والحياة عن طريق التأمل.. ففاعلية الرؤية عند السارد تنتج أنموذجا من القول يتحقق بالمزج بين المشهد والحدث بتنظيم مدركات الوجود عبر الانتقالات السردية التي لم تكتف بالزمكانية بل تجاوزت إلى الوعي وتشكيل الذات عبر استنطاق الوجود والأحداث.. باستحضار الشخصيات في بناء الكون السردي واعتماد الأماكن والأشياء للكشف عن الأفعال الإنسانية..

"الآن أدركت يا سليمان سر سخريتك الدائمة من دقات ساعة "بك بن" التي طالما تلفظها زبائنك خطأ وهم يطالبونك بتوقيت ساعاتهم عليها قبل تسلمها منك، ما جعلك تندهش من سر توقيت سلة القمامة المفضل لدى البصريين.. الآن أيها البياتي الماكر أدركت مؤخرا لماذا سخرت من غرينتش "كرانتي" البصريين جميعا ورفست صبرك الطويل في لحظة نحس مرددا توقيتك التركماني الخاص، نشيد أجدادك الحربي الامرلي "بيزلر بيزلر بيزلرك.. قاتلي كفن كييه رك" ، مفضلا الموت على سعر تصليح ساعة قد لا يتجاوز أكثر من دينار.." ص64 . ص65.. فالروائي يحاول أن يكشف الواقع الاجتماعي والإنساني بإضاءة النص بصور متعددة بدلالات المكان الذي لا يخلو من الفعل والحركة.. ووصفه من منظور الشخصية التي تسهم بتعدد فضاءاته "المغلقة/ المفتوحة" وتقنياته الفنية "المونتاج/ الرصد البصري/ المشهدية السيمية.." .. فضلا عن استخدام الروائي بعض المفردات ذات الدلالة المحلية المرتبطة بالمكان مما اضطره إلى شرحها في الهامش لوضع المتلقي في سياق الأحداث والشخصيات ولإضفاء المحلية والواقعية عليها من جهة وخدمة السياق والبيئة المكانية للحدث من جهة أخرى.. فضلا عن استلهامه المثل الشعبي والأهزوجة وجعلهما عنصرا بنائيا لتشكيل النص لما يحمله من دلالات تسهم في تأويل الواقع وإعادة إنتاجه..

"الشاص شاص والحمل حمل" / ص18
"من لحم ثورة واطعمه" / ص27
"ما بيع طوكي والبشير يلوح" / ص28
"حي ميت جندال نريده" / ص61

فالسرد ينطلق من منطلق ذاتي منح اللغة انسيابية وتدفقا شعريا مع تلون محطاته بالحب والخوف والحرية والتعذيب ومعها يتلوى الخيال والبحث عن مصائر الشخوص "داود/ بشيرالتمار/ شفيق الاخصيباوي..." المأزومة التي تبحث عن قشة للخلاص قبل أن يساقوا إلى مشانق الإعدام حيث لا عزاء ولا تشييع سوى نباح كلاب سجن أبي غريب.. كلاب تضج بالنباح مع كل وجبة إعدام.. فضلا عن ذلك فالروائي يوظف بعض الشخوص التي تشكل علامة مضيئة من تراث مدينة البصرة وتحتفظ بها الذاكرة منهم.. "يحي الطالب الجامعي المنشغل بدراسته والغير آبه بكل ما يدور من حوله ولم يكن يستسيغه شيء أكثر من الإدمان على قراءة كتب المتصوفة وطرقهم ورسائلهم ومدارسهم ومزاولة الحضور الأسبوعي في التكية القادرية الكسنزانية في الزبير.." و"تومان العبد الذي يعزف الناي بانفه وهو يذرع شوارع العشار" وهناك كاظم ابو الباصورك وزرزور ابو الحب وراضي خبالو الذي يوقف السيارات مقلدا شرطة المرور وجاسم ابو السفرطاس صاحب اقدم مطبعة التايمس.. وهؤلاء جميعا يشكلون جزء من نسيج المدينة التي استباحتها الحروب اللعينة..

"ظلت خطواتنا تمضي بامل بليد الى جنة قد نكون ضيفيها الوقحين.. خرجنا من شوارع سوق حنا الشيخ الضيقة وكأننا نخرج من شبكة مجار متروكة منذ عقود.. عبرنا الجسر باتجاه سوق المغايز وكان كل منا يحث الآخر لا إراديا على المضي إلى حيث خاتمة غير مجدية لنهار غير مجد.. كان تسكعنا يتجه إلى شقة بشير مبتعدا عن صخب سهرة محتملة في مقبرة اليهود مع عاشق إسرائيل شفيق الاخصيباوي.. بينما راح خجلنا يضمحل ويتقلص إزاء ذلك الحلم المكرر.." ص19

فالراوي العليم حاضر في ثنايا السرد باستخدام تقنيات حداثوية "الاسترجاع/ الحوار بشقيه الذاتي والموضوعي/ التقاطع بين عنصري الزمان والمكان/.. فضلا عن استخدام ضمير المتكلم في سرد الأحداث إمعانا في التماهي بالأشياء..

"شعرت أن أرضية الغرفة بدأت تتماوج فمسكت بحافتي الكرسي وزحفت إلى الخلف قليلا وحاولت أن أتمالك نفسي ولكن من غير جدوى..

ـ سساعترف ببكل شششيء

ـ أها..ممتاز..

ـ أأأ شفيق صصصديقي ممنن أياااام العسسكرية ووولااعرف داووود..أما اااششفيق فهو صصصديق قدديم كلاننا من قرييية واحدة ووولا اععرف عن اااالحزب.." ص96

فالنص يقوم على الدرامية والتوتر والصراع متمثلا في انعكاسات الذات المتحركة داخل نسيج النص المكاني وأنساقه التي تتجلى فيها التحولات التركيبية وما ينجم عنها دلاليا وسرديا.. كونه فضاء يحتضن عناصر السرد "لغة/ حدث/ شخصية/ زمان/.." وفي داخله تتم عمليات التخييل والاستذكار والتذكر عبر الشخصوص التي تسهم في تطوير الأحداث وتمثل صورا بكل مستوياتها التي لم تكن بعيدة عن الواقع.. لذا فعلاقتها بالمكان بوصفه بؤرة ثقافية معبرة عن موقف ورؤية حياتية علاقة دينامية لا تعرف الثبات ولا تخضع لمعيار معين بل هي خاضعة لميزان التغيير المقترن بالظروف النفسية والاجتماعية والاقتصادية.. لذا فوصفه ومحتوياته يكشف عن فلسفة الشخصية وموقعها الفكري الذي تتحرك في فضائه.. فضلا عن الحوار الذي يضفي الحيوية على السياق السردي والبناء الفني ويؤدي وظيفته في الكشف عما يتعلق بالحدث والشخصية الملتصقة بهمها..

وبذلك قدم الروائي توليفة إنسانية للطوائف البصرية وأسواقها مع حضور المرأة في أحداثها.. وهي تعلن عن سقوط كل أقنعة الزيف بتنوع سردها وثرائه المرتبط جماليا بفكرة انهيار الواقع في حقبة "التسعينيات والحصار الاقتصادي" وهو يسبح بين ضفتين: أولهما السرد التخييلي وثانيهما الحكي المستثمر تقنيات السيرة الذاتية.. إذ أن ذات الروائي وتجربته الحياتية مخزون المادة المسرودة عبر نصه الذي يشتغل على خامات مستوحاة من واقع تاريخي معاصر زمانيا بلغة أكثر قدرة على الإيصال وتقنية مميزة الى جانب غوصها داخل الحدث التاريخي ومحاولة رسمه من الداخل وهذا يعني أن الروائي يقتنص الزمن الماضي ويخرجه من حيزه ليضخ فيه حيوية الحركة المتحررة من زمنيتها بتوظيف شخوص فاعلة ومتفاعلة بحيويتها وطبيعة النسيج الحكائي وكثافة الأحداث..

"ليل ومحطات وسفر".. قصة صمود ليلى لعيبي وبسالتها

خطابات مترفة برغم المعاناة والمطاردة

جاسم العايف

عاشت وأكملت دراستها وتخرجت الشاعرة "ليلى لعيبي" في محلة (الفيصلية) وتنتمي إلى عائلة، محترمة ومتنورة ومتميزة بالاهتمامات الفنية والأدبية والثقافية. منذ بداياتها انفردت" ليلى" عن عائلتها بكتابة الشعر الشعبي، فساهمت وهي طالبة بالمهرجانات الشعرية المدرسية. و بعد تمكنها شعرياً اشتركت في اغلب مهرجانات الشعر الشعبي في البصرة والعراق. أصدرت مجموعتها الشعرية الأولى، بعد سقوط النظام، وبعنوان "ليل ومحطات وسفر"، مكتبة الكوثر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بغداد. احتوت المجموعة على (25) قصيدة.

أهدت (ليلى) مجموعتها الشعرية:"إلى روح أمي الحبيبة.. والى الذين أحبوا بصدق هذا الوطن" (ص5). تعود قصائد(ليل ومحطات وسفر) إلى تواريخ مختلفة، وتنفرد بتجسيد رحلة المعاناة والعذاب والأيام واللحظات التي واجهتها الشاعرة (ليلى) منذ نهاية السبعينات، حيث تم مطاردتها وزوجها الشاعر الشعبي، والمثقف الوطني، والمناضل الشيوعي الشهيد(نجم الشاوي) الذي اعدم، شنقاً حتى الموت في نهاية عام 1984، ومُنعت أسرته من إقامة مجلس عزاء له، ناهيك عن الإعلان حتى عن إعدامه أو تسليم جثمانه لأسرته بالإضافة إلى الامتناع عن تقديم وثيقة لهم تؤكد ذلك!!. لم تلن (ليلى لعيبي) أو تستسلم على رغم المحن والمطاردات التي واجهتها ، فعمدت بعد الحكم عليها، غيابياً ، بالإعدام في الثمانينات إلى الانتقال من مكان لآخر. وتحملت، وهي الشابة، والوحيدة حينها، مطاردات السلطات البعثية القامعة، من خلال تخفّيها وتغيير عنوان سكنها، خاصة بعد قرار محكمة مديرية امن البصرة التي أصدرته بحقها وهو الحكم بالإعدام غيابياً، وعممت صورتها على كل المراكز الأمنية والسيطرات العسكرية بين المحافظات وكذلك منظمات حزب القتلة، التي كانت منتشرة في كل مناطق المحافظات. فانتقلت سرا من البصرة إلى بغداد مرتدية (العصّابة والجرغد)، ارث الأمهات البهيات والجدّات الكريمات العراقيات، وعمدت إلى السكن في منطقة (الرحمانية) الشعبية، وعاشت طويلاً في غرف مؤجرة وفي بعض الإحياء الشعبية البغدادية، المهمشة، والمكتظة بالزحمة السكانية، والمنطوية على الإهمال، والتي لا تعبأ بها وبسكانها السلطة الفاشية المتعسفة، إلا كمشاريع للبطش أو للموت المجاني في حروبها العبثية التافهة الخاسرة والتي كلفت الشعب العراقي كثيراً. وعمدت (ليلى) للحياة هناك، متخفية تحت اسم منتحل ووثائق مزورة بدقة و متسمية باسم مزور أيضا هو (أم علي) ، منتمية إلى عالم القاع العراقي وميزته المعروفة بالصبر والجلد والمطاولة، ولتدرأ بتلك الوثائق، سنوات الضيم والمحن والعذابات الخاصة، والمطاردات الأمنية وشبح تنفيذ حكم الإعدام الذي كان يطاردها ، وكاد أن يهم به في كل غفلة منها، كما عمدت (ليلى) وبسالة نادرة إلى المحافظة على نبض الحياة الناصعة، بإصرارها على موقفها الإنساني في عدم مداهنة السلطة الفاشية والوقوع في فخها الباطش ، متجاوزة عوالم الاستكانة والضعف والأخطار المحيطة بها في تلك المرحلة التي تميزت بوحشية الأجهزة الأمنية السلطوية. وبقيت (ليلى لعيبي) المرأة العراقية والشاعرة، متمسكة بصلابة موقفها بإصرار منتمية إلى القادم من الزمان الذي راهنت عليه وأسرتها المعروفة بانتمائها الأصيل إلى قضايا وطنها وشعبها العراقي على رغم الأثمان الباهظة التي ترتبت عليهم طوال العقود الفاشية التي دفعت أغلبهم إلى الهجرة خارج العراق، بوسائل عدة. تنتمي ليلى لعيبي شعرياً إلى الجيل الشعري السبعيني تحديداً، و القادم بقوة مؤثرات ورؤى مرحلة الستينات وتميزها عراقياً وعالمياً وعربياً، وكذلك إلى مؤثرات شعراء الشعر الشعبي العراقي الذين أحدثوا نقلة إجرائية و نوعية في متن ورؤى القصيدة الشعبية العراقية ومقاربة الحداثة الشعرية برؤى فنية راقية، إذ تميزت القصيدة الشعبية العراقية،حينها على رغم التجاهل والمنع السلطوي لها، بحجة أن اللهجة المحلية، والشعر الشعبي بالذات "يفتت الوحدة العربية ويفرق الشعب العربي الواحد"، هذا الشعار البعثي، الشوفيني، والذي يقضي على الثقافة الاجتماعية الشعبية وتنوعها، ويدمر خصوصية المجتمعات العربية بالذات.

عمدت بعد الحكم عليها، إلى الانتقال من مكان لآخر

وعمد شعراء الشعر الشعبي في تلك المرحلة لمواجهة ذلك الإهمال والحجر، بإستكناه المفردات المتداولة والمتميزة في الحياة اليومية، برؤى متجددة ولغة مطواعة وغنائية مترفة وعالية البوح، فبرز: عزيز وشاكر السماوي وطارق ياسين وعلي الشباني، والمغدور ذياب كزار/ أبو سرحان/ وكاظم إسماعيل الكاطع و عريان السيد خلف وزامل سعيد فتاح، والمعدوم شنقاً حتى الموت فالح الطائي، وجمعة الحلفي وريسان الفهد.. الخ، ومعذرة صادقة وأخوية لمن لم يرد اسمه الكريم أعلاه، فمن الصعوبة جداً بالنسبة لي ذكر كل الأسماء الشعرية المبدعة خلال تلك المرحلة، فأنا لا أكتب بحثاً تاريخياً حول هذا الشأن، وكانت القصيدة الشعبية لديهم وزملائهم، أسئلة حائرة وجارحة ومتواصلة، بعضها يحمل أجوبتها في متون قصائدهم بتورية مقصودة، كما عمدوا لاستخدام الرموز المعاصرة و التاريخية- الدينية ، الثورية بالذات، وكذلك الشعبية المتميزة بـ(اللوعة).. تلك (اللوعة) التي لا يعرفها غير العراقي، وشجنه وجروحه الغائرة وعذاباته المتواصلة عبر تاريخ وطنه الذي يمتد لأكثر من سبعة آلاف عام. كما عمدوا لخلق وشائج وتوجهات مدينيه تعمل على بلورة مفردات اللغة الشعرية الشعبية العراقية الحديثة، مع تعزيز فرادة الأسلوب والقول الشعري الخاص بكل منهم، والحفاظ على التراث الشعبي الوطني من الضياع والإهمال والاندثار، بالضد من رؤى وتوجهات المؤسسة الرسمية والثقافية الحكومية الساقطة، لتكريس مشروعها (القوماني) الذي عمل على إقصاء الروح العراقية والعمل بقصدية على محاولة وأد تراثها الشعبي المتألق. تندرج قصائد (ليل ومحطات وسفر) ضمن تلك العوالم، السبعينية الضائعة الآن، بعد سيادة الخطاب الأحادي طيلة ثلاثة عقود كرس فيها النظام المنهار كل شيء لخدمة التوجهات الانتهازية والعدوانية والعنف، عبر التسلط والتعسف والحروب والوحشية بنفعية وغائية واستخدام طبول التهييج والتحشيد في مهرجانات ولائم الدم السابقة، وأعقبتها سنوات الحصار الظالم، الذي شل الروح العراقية وقيمها المعروفة والمتميزة بالتجدد والانفتاح والتكافل الاجتماعي وبدد تطلعاتها الإنسانية، وأصاب البنية الاجتماعية إصابات وخسارات باهظة وسلوكيات غريبة وشائنة لم يعتدها المجتمع العراقي، واستمر ذلك بعد سقوط الفاشية البعثية في 9 نيسان 2003، عبر تصاعد خطاب الطوائف، الراديكالي بالذات ، والبحث في الميثولوجيات الجمعية التي ترفده، وتفعيل توجهات العزل والحد الطائفي، وانعدام الخطاب الاجتماعي التسامحي. وثمة خطاب مقابل آخر يعمد لتأصيل السلوكيات الإجرامية المتلبسة بافعال انتقامية شائنة تُسوّق وتزين لبعض العراقيين محارق القتل الجماعي والانتقام الثأري الغادر باعتباره وجهاً لـ(المقاومة) من خلال فعل وخطاب سلفي إجرامي مقيت للانتقام من العراقيين ذاتهم ، بعيداً عن توجهاتهم وجنسهم ، والفتك بهم في الشوارع والجامعات والمدارس والملاعب الشعبية والأسواق والمقاهي ومطاعم الفقراء وعمال المساطر المعوزين، ودور عبادة الله، كالجوامع والحسينيات والكنائس ، بغض النظر عن مَنْ يؤمها، وهدّ البنايات على رؤوس ساكنيها ، دون ذنوب أو معاص أو آثام ، وحتى أسواق بيع الحيوانات المختلفة، وبضمنها طيور حب العراقيين الأليفة.

تؤكد ليلى لعيبي في مقدمة مجموعتها(ليل ومحطات وسفر) إن هذه" القصائد مكتوبة في السبعينات والثمانينات عندما كانت مطاردة ومهددة بالإعدام، وبعضها كتب في الألفية الأولى من هذا القرن، وبعد سقوط النظام قررت أن تنشرها لتكون شاهداً على النظام البعثي الفاشي الذي تسلط على رقاب شعبنا لمدة(30) عاماً"(ص6 – 7) . احتوت بعض قصائد (ليل ومحطات وسفر) على روح السبعينات المتألقة وخطاباتها المترفة و الشفافة:

"ايمرني حبيبي
وهلبت يجيبه القطار
يا مواعيد المحبه
شما يمر بينه الصفير
وصافرته
أتزيد نار
والصبح والليل
ويّ ليل المحطة
أعيوني نعسانه وتغار
عالوطن كل الحبيبه
ثوبها مطرز خضار
ولهفة العاشك ثكيله" (ص 28)

**
"خلي أعيونك تقره أعيوني
وخلي إحساسك يشعر بيّه
مد جفّك يحضن لي اجفوفي
وخل اشعر ساعة بحنّية
يرجف كلبي بنظرة عينك
وروحي تفرح مشتاكتلك
مشتاكه لفرحه وحس بيّه
أنت تخلي اعيوني تكلك
شما تنظر
صفناتك هيّه
وكلبي الحبك باول عمره " ص63

قدم لـ(ليل ومحطات وسفر) الشاعر الشعبي الراحل "كاظم إسماعيل الكاطع"، مؤكداً انفراد الخطاب الشعري للشاعرة واهتماماتها الإنسانية في ما تكتبه من شعر نابع عن تجارب حياتية مريرة وقاسية ، وان الشاعرة تملك أكثر من مجموعة شعرية معدة للطبع وما جاء في مجموعتها الأولى ما هو الا مختارات من شعرها الذي كتبته في مراحل مختلفة من مسيرتها الشعرية. كما تمنت "ليلى لعيبي "عبر مقدمتها القصيرة أن تضيف بقصائد ديوانها الأول هذا ، شيئا بسيطاً من أرشيفها الخاص، والذي تحتفظ بالكثير منه، إلى مكتبة الشعر الشعبي العراقي.

صفحات منسية من تاريخ السينما العراقية

في العام 1949 كان العراق وسكانه خمسة ملايين نسمة

يضم 71 داراً للسينما منها 32 في الهواء الطلق

د. زهير البياتي

تشكل دور العرض المسرحية والسينمائية وإنتاج الأفلام الروائية بشكل خاص إضافة إلى باقي المجالات الإبداعية كالمسرح والفنون التشكيلية والموسيقى والأدب وفروعه تشكل ظاهرة ثقافية عالية المستوى وتُقاس ثقافة الشعوب باهتمامها أو عدمه من خلال هذه المجالات وإزاء هذه الحقيقة فأن التراجع في مجال إنتاج الأفلام السينمائية واندثار دور العرض الخاصة بها تشكل ظاهرة خطيرة تُعطي دلالات لا تصب في صالح المجتمعات التي ترنو إلى التحضر ما لها حال بقية شعوب الأرض التي تسير حثيثاً إلى أمام، أكتب هذه المقدمة وأنا أبغي التأكيد على بعض الحقائق المنسية منها تاريخ السينما العراقية وارشفتها منذُ تأسيس (ستوديو بغداد) للأفلام وشركة (أفلام بابل) عام1947 كما جاء في كتاب (قصة الفن السينمائي في العراق) لمؤلفه (محمد حسن الخالصي) الصادر عام 1955، وما أنتج من أفلام عن طريق هاتين الشركتين من أفلام، مثل فيلم (عليا وعصام) الذي أخرجه (اندرية شوتان) وفيلم (ليلى في العراق) الذي أخرجه (أحمد كامل مرسي) وفيلم (القاهرة بغداد) إخراج (أحمد بدرخان) وفيلم (ابن الشرق) الذي أخرجه (نيازي مصطفى) ومن

الجدير بالذكر بأن هذا الفيلم بالإضافة إلى اشتراك ممثلين مصريين فيه فقد اشترك فيه من العراق بالإضافة إلى (حضيري أبو عزيز) و(عزيز علي) (عادل عبد الوهاب) الذي غادر (بغداد) إلى (الولايات المتحدة الأمريكية) وقد أقام هناك ولم يَعُد.

كما تم إنتاج فيلم (طاهر وزهرة) و(آزرو وقمبر) وفيلم (فتنة وحسن) الذي أخرجه (حيدر العمر) من إنتاج شركة (دنيا الفن) ومن بطولة (ياس علي الناصر) وقد صادف وان داهم (بغداد)

الفيضان المشهور عام 1953 مما كان سبباً في تأجيل تصوير الفيلم بسبب انتقال مخيمات الجيش العراقي إلى (بلاتوهات) وحدائق الاستوديو، وما أن زال خطر الفيضان حتى أخذ (ياس علي الناصر) للاستعداد للعمل مرة أخرى، وفي هذه الأثناء احترق مكتب (دنيا الفن) الذي كان يديره مما أدى احتراق الفيلم الخام الذي كان محفوظاً هناك، وقد وقف إلى جانبه في محنته هذه بالإضافة إلى (صلاح الدين البدري المحامي) الذي كان مسؤولاً عن مجلة (دنيا الفن) وقف

إلى جانبه (حبيب الملاك) والد الكتبي والاستاذ المعروف (قحطان الملاك) إذ أنهُ وبدون هذه المساعدة لم يظهر فيلم (فتنة وحسن) إلى الوجود.

وان بقى ما مَر ذكره راسخاً في الذاكرة العراقية، فأن هناك أفلاماً أصبحت في طي النسيان من هذه الأفلام فيلم (الشاي) الذي أخرجه (دانيال قصاب) وان كان هذا الفيلم قد أُنتج لغرض تجاري لحساب شركة (مسيو نتالبتون) لكنهُ أتاح المجال لبعض الفنانين بالظهور وخاصةً إذا ما علمنا ان هذا الفيلم تُرجم إلى جميع لغات العالم، وبالإضافة إلى كون اسم المطرب والملحن (رضا علي) الذي اشترك في الفيلم معروفاً إلا أنه اكتسب شهرة أوسع بعد أن وضع الموسيقى والألحان لهذا الفلم، وكذلك الماكير (مهدي الأوقاتي) الذي قام بمهام الماكياج وقد ساهم في هذا الفيلم أيضاً مجموعة من طلاب (معهد الفنون الجميلة) كما ذكر (محمد حسن الخالصي) في كتابه المار الذكر (قصة الفن السينمائي في العراق)، ونحن إذ نستذكر بعض الصفحات المنسية من تاريخ السينما العراقية فلا بُد من أن نذكر فيلم (العتبات المقدسة) الذي أخرجه (يحيى فائق) وقام بتصويره (كريم مجيد). هذا الفيلم من الأفلام القصيرة وهو فيلم ملون وقد انتج من قبل (إسماعيل شريف) والغرض من إنتاجه هو إعطاء فكرة عن العتبات المقدسة والأماكن الأثرية والذي كان من المفترض ان يعرض كمقدمة قبل الفيلم المقرر عرضهُ للجمهور، وقد اشترت (الجمعية الجغرافية البريطانية) نسخةً من هذا الفيلم لغرض الدراسة والإطلاع بشكل جيد عن العتبات المقدسة والأماكن الأثرية والسياحية.

ولتسليط الضوء بشكل أكثر تركيز على الصفحات المنسية من تاريخ السينما العراقية يتوجب ذكر الشركة السينمائية التي ساهمت بشكل أو بآخر بالتعاون مع شركة (ستوديو بغداد) المارة الذكر والتي انتخبت فيلم (آرزو وقمبسر) و(طاهر وزهرة) هي شركة (آرمان كاردشلر) قوام هذه الشركة جلهم من هواة المسرح الذين قدموا عدة عروض مسرحية بالإضافة إلى إنتاجهم بمسرح هذه الشركة أفلاماً عديدة بعضها تم تصويرها في اليونان.

وأنا إذ أذكر بعض الصفحات المنسية من تاريخ السينما العراقية والتي هي كانت جزءاً مكملاً لأفلام أثرت لبداية صناعة السينما في العراق فبالرغم من قلتها وضعف الإمكانات المادية والتقنية إلا أن الجمهور العراقي شاهد أفلاماً شكلت جزءاً من ذاكرته الجمعية وأغنت ذائقته الجمالية، ولابد لي هنا من ذكر حقيقة مُرة ألا وهي تلاشي واندثار دور العرض السينمائية والمسرحية والتي شكلت ظاهرة مدنية متحضرة، ونحنُ قد تجاوزنا العقد الأول من الألفية الثالثة. وللمفارقة المؤلمة أذكر هنا نحنُ (في عام 1949) كان العراق وسكانه آنذاك (خمسة ملايين) نسمة يضم (71) داراً للسينما منها (32) في الهواء الطلق وبلغ التردد وهو عال بالنسبة للعالم العربي (5-4) تذاكر للفرد سنوياً، وبين أعوام (1960-1947) حققت عشرون فلماً طويلاً تقريبا في العراق الذي بات يحوي في سنة (1960) (85) داراً دائمة تعداد مقاصدها مائة ألف مقعد وعشرين داراً متنقلة تقريباً وعدداً من المنشآت في الهواء.

إن نظرةً سريعة على هذه الأرقام تحيلنا إلى الواقع المتردي الحاصل الآن في السينما العراقية والمسرح كذلك والجهات المسؤولة والمتنفذة والواضعة بيدها على مفاصل الدولة الحيوية هي التي تتحمل مسؤولية هذا التردي قبل غيرها.

وعودةً إلى البداية أوَدُ أن أأكد على أن هناك الكثير من الصفحات المنسية من تاريخ السينما العراقية ومن الأشياء المفرحة أن يتم تسليم الضوء عليها، لأنها وكما ذكرنا شكلت جزءاً من الذاكرة الجمعية للفرد العراقي وتكوينه المعرفي.

رواية للكاتب الهولندي هاري مولش

بين المطرقة والسندان

ترجمة: انتصار الغريب

كتب المؤلفُ الهولنديُّ روايته "بينَ المِطْرَقَةِ والسَّندانِ" عندما كان في التَّاسعة عشرة من عمره، وبعد مرور خمس سنوات على نشرها، نقَّحها مَرةً أخرى، وعلى الرَّغم من النَّجاح الهائل والجوائز التي حصدها بعد نشر الرِّواية، اكتشف أنَّ عنصر الفكاهة يعوزها. مما لا شك فيه أنَّ هذا النجاح عزَّز من مكانة "هاري موليش" في عالم الكتابة لاحقًا. وتختلف رواية "بينَ المِطْرَقَة والسَّندان" عن بقيَّة أعمال موليش السابقة التي كان يعبِّر فيها عن أفكاره باستخدام جُمل فلسفيةٍ مُعقَّدة، لكنَّه في هذا الكتاب يقدِّم قصَّة بسيطة تحمل في طيَّاتها معاني إنسانيةً ساميةً حول إنسان يقابل الموت بكلِّ شجاعة وكبرياء رغم إحساسه بالبراءة.

تدور الرواية حول جنديٍّ روسيٍّ، يُدعَى "وارنيف" فيودورفيتش"، بعد مرور فترة قصيرة من انتهاء الحرب العالميَّة الثانية، و بينما كان غائبًا سنوات عديدة عن منزله وزوجته وأطفاله وكلِّ محبِّيه، وبعد أن تبقَّت بضعة أشهر على تسريحه من الخدمة، يلتقي بالصُّدفة امرأةً جميلةً، رغم أنه لم يكن يتخيَّل أن يحبَّ بعد زوجته الأولى. وبين ليلة وضحاها يقع له حادثٌ مُروِّعٌ لم يكن في الحسبان، يُغيِّر مجرى حياته برُمَّتها، وفي ليلة بكى فيها القمر، بينما كان "وارنيف" في دوريَّةٍ الحراسة في الطريق إلى مستودع الذخائر، توقَّفت سيارة مدنيَّة يقودها مسئولٌ بريطانيٌّ مُهمٌّ، يطلق "وارنيف" إشارة تحذير، اعتقادًا منه بوجود خطر داهم، لكنه لسوء الحظِّ يُصيبُ الرجل في مَقتَل. شَعَرَ "وارنيف" بالهلع والخوف، ولم يدرِ ماذا يفعل، لكنه تلقَّى الأوامر مُسبقًا بضرورة إطلاق النَّار على كل من يحاول اختراق الطريق المؤدِّي لمُستودَع الأسلحة، انقلبت حياته رأسًا على عقب؛ لأنه حاول تنفيذ الأوامر بكلِّ دِقَّة ولم يكن ينفِّذ سوى واجبه!

في بادئ الأمر مرَّت الحادثةُ مرورَ الكرام، حتَّى قامت الدُّنيا ولم تقعد، وتحت طائلة ضغوط الإعلام الغربيِّ، صدر قرار يقضي باحتجاز الجنديِّ "وارنيف"، للوهلة الأولى تم إخباره بأنه سيُجرَى اعتقاله بضعة أيام ثم يُخلى سبيله بعد أن تهدأ الضَّجَّة، كان يُعامَل مُعامَلَةً خاصَّةً، ووُضِعَ في سجن يتألَّف من غرفة واحدة، تعرَّف على صديق جديد في الخمسين من عمره، يُدعَى "كاخنوفيتش" يعمل حارسًا للسجن، نشأت بينهما صداقة فريدة من نوع خاص، كان يعتقد أنه سينال الحرية عاجلًا أم آجلًا؛ لأنَّ الزنزانة تحمل (الرقم 4) الذي كان يجلب له الحظَّ، لكن الرِّياح تجري بما لا تشتهي السُّفن، ليصدُر قرارٌ يقضي بإعدامه بأقصى سرعة ممكنة!

أثناء ذلك يقرِّر "وارنيف" أن يعيش الأيَّام الأخيرة عن طيب خاطر. لقد علَّمته أيام الاحتجاز كيف يواجه قدَرَه بصلابة شديدة، كانت الصَّحافة الغربيَّة المِطْرَقَة التي ضربته ضربةً مُوجعةً ولم يستطع هزيمتها، بينما وقفت الحكومة الرُّوسيَّة كالسَّندان إبَّان الحرب الباردة، ولم تود إثارة المشاكل مع الغرب، واستثمرت الموقف برُمَّته من أجل الخلاص وكسب القضية لصالحها، وبالتالي تصفية "وارنيف" وهو مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة. لعب "وارنيف" وحارس السجن "كاخنوفيتش" الدَّورين الرئيسَيْن في الرِّواية، حيثُ يروي لحارس السجن ذكرياته مع الحبيبة الجديدة وعذاباته ومغامراته إبَّان الشباب، بينما لعبت "كاتنيكا" دور صديقته في الأيام الأخيرة، أمَّا زوجته "ناتاليا" فقد لعبت دورًا ثانويًّا في حياة "وارنيف". الذي يميِّز الرِّواية الأحجيات والألغاز المختلفة، مثل رقم الحظِّ (4) الذي تكرَّر ذكره مرارًا في الرِّواية، وواكب حياة "وارنيف"، حتَّى فوجئ بالنهاية بالرقم (44) الذي قاده إلى النَّحس وفي نهاية المطاف للموت! بينما جرى استحضار الخواطر التي تصادف "وارنيف" إبَّان فترة السجن.

تعرضُ الرِّوايةُ مدى تأثير الحرب الباردة في العلاقات بين الدُّول الغربيَّة والعداوة المستمرة بين المُعسكَرَين: الشرقيِّ والغربيِّ، وتأثيرها القوي باختيار تصفية "وارنيف" في نهاية المطاف، كذلك دورالصحافة الغربية التي هوَّلت الحادث حتى لحظة إعدامه، فتظهر القضية كأنها بين طرفين عدُوَّين يريدان تصفية الحسابات بينهما، ولم تلعب إرادة "وارنيف" أيَّ دور يُذكَر، كما لو أنَّ العنصر البشريَّ كان غائبًا.

لم يحاول "وارنيف" - حسب الرَّاوي - البحث عن حلول بديلة للخلاص من محنته، واستسلم لقدره بكل طواعية.

روايةٌ مُشوِّقةٌ تدور حول شخص لا حول له أو قوة ينتظر حكم الإعدام ولا شيءٌ آخر، لكن القارئ المتمعِّن في الرِّواية يدركُ أنها كُتبت بعناية تامَّة، سواءٌ الأشخاص أو الحوارات، وفريدة في استحضار الدَّواعي والأفكار التي صاحبت "وارنيف" حتَّى النهاية، كذلك التفاصيل اليومية الصغيرة التي مرَّ بها قبل وقوع الحادث. روايةٌ تنفرد بالحوارات القصيرة المُشوِّقة التي تتخلَّلها مُفاجَآتٌ غيرُ مُتوقَّعة.

مقطع من الرواية

من حين لآخَرَ يتوارى الضَّوءُ للحظات، كأنَّ أحدًا يمشي أمَام المصباح، ربما تكون العربةُ، نظر إلى الزَّاوية الأخرى، إلى الطَّريق الذي يتولَّى حراسته، لكن لم يستطع أن يميِّزه، شعر كما لوأنَّ الظَّلام يضغط على عينيه، ولكن لليسار في الطريق الكبير المؤدِّي إلى فيينا، تتأرجَحُ باضطراب صفوفٌ من المصابيح؛ حيثُ يلوِّحُ الضَّوءُ من مسافة بعيدة أشبه بسجَّادة تلمع مقابل السُّحب الممطرة العميقة المنخفضة التي كانت ماثلةً للعَيَان. نظر "وارنيف" من جديد بحدَّة إلى يسَار النَّافذة حيثُ وجد الباب، ثبَّت مسدَّسه في شجرة، وغَرَز يده في بطانة الزَّاوية الأخرى من معطَفه الثَّقيل وفتَّش في جَيوبَ بنطاله، تناول سيجَارَة طويلة من العلبة، ضغطها مرَّتَين ببعضها عموديًّا، أثناء ذلك طوى المِسَم الكارتونيَّ للعلبة، بعد ذلك فتح الزِّرَّين العُلويَّيْن لمعطَفه، عدَّل من ياقته، أرخى رأسه، في حين ذلك جذَبَ ذراعيه ثم سقط بعمق.

محترسًا نظر أيضًا إلى مركز بريد الحراسة، ثم انتفض برَجْفة مُفاجِئة. شعورٌ كئيبٌ بأنَّ عود الثقاب الملتهب والأقل إبهارًا سوف يشتعل، عبر ذلك أضيئ وجهه السَّامي الخشن، بعينين زرقاوين سَحَبَ نَفَسًا عميقًا من سيجارته ثم نفخ مُجَدَّدًا الدُّخان في عود الثِّقاب، احتوى سريعًا النقطة المشتعلة ونظر للخلف، لكن يبدو أنَّ أحدًا لم يلاحظ شيئًا.

وضع "وارنيف" المسدس" بين قدميه واستند بظهره إلى المكتب خلف الشجرة.

باستراحات متقطعة بين الحين والآخر، كان يضع السيجارة في فمه، ينفث الدُّخان غريزيًّا في النقطة الضوئية الحمراء، شَعَرَ دونَ وَعْي أنه إذا لم يتأمَّلها بالتالي لن يجرِّبها.

من حين لآخر يتناول المزمار من سيارته ثم يبوق في الطَّريق، في ليلة دافئة من ليالي حزيران الساكنة. لكن "وارنيف" كان سعيدًا؛ لأنَّ لديه معْطَفًا؛ كان متأكِّدًا أنها ستمطر عاجلًا أم آجلًا، حَاول أن يستوعب المَوْقفَ الآني، بانتفاضات غدوةً ورواحًا، كما لو أنه لن يستطيع الاستلقاء في هذا الظلام المُطبق، باحثًا أيضًا عن اللمعان المفقود. يلتفت بين لحظة وأخرى صوب نقطة الحراسة، ليتأكَّد قليلًا أنه لا يوجد أحد ينظر إليه، لكن بشعور حالم؛ كي يتأكَّد من أنه لازال يستطيع الرؤية ولن يصبح أعمى فجأةً!

في أثناء تلك الأجواء المُريبَة التي طَوَّقته أخذ يُرَنِّمُ دُونَ انقطاع المَقَاطِعَ الأولى من أغنية مُحَبَّبَة إلى قلبه. في تلك اللحظات كان يُغَنِّي مع نفسه بتنهيدة كاملة ذهابًا وإيابًا؛ كانت أغنية تُعبِّرُ عن الاشتياقِ والوَلَه، يُغَنِّي مع الشَّمس الغاربة والخطوات العريضة العميقة بأسرارها المُبْهَمَة، والبلاد التي تَرْبِضُ في نهايتها... بلاد الأحلام: الطهارة والطيبة والعشق.

فكَّرَ بعمق في المنزل، في ينوتافيسك في روسيا، عندما كان شابًّا يافعًا، وسمع للمرَّة الأولى "فيودور فاسيليفيتش" أباه و"آنا أليكوفانا" أمه، وجميع رفقاء القرية في الأمَاسي الصَّيفيَّة الدَّافئة يُغنُّون ببطء وقوّة مثلما هي الحياة.

وكيف غَنَّى فيما بعدُ خلفَ الفريق، يصرُخُ أحيانًا بفورة مشاعر مفاجئة. وكيف تعرَّف لاحقًا على "ناتاليا ميافوفا" -التي أصبحت زوجته فيما بعد- حينما كان خارجًا من مدرسته في كازان، لدى عودته من منزل عمِّه الذي كان يقطُنُ فيه.

في بادئ الأمر غَنَّى مَقطَعًا كاملًا، وفيما بعدُ عندَ البلدة المجاورة غَنَّى المقطع التالي، وهكذا دَوَاليْك حتَّى أكمل الأغنية كلها.

سمعه طفلان أحدهما في السَّابعة والثاني في الخامسة من عُمريهما، فكَّر كيف غَنَّى في سيَّارة حكوميَّة، عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية، وسارع للهرب مع الآخرين.

في هذه الليلة المُظلمَة رأى "وارنيف" مُجَدَّدًا زوجته، مثلما رآها في المرة الأخيرة قبل ستَّة أعوام خلت، من مسافة بعيدة: كانت حاملًا، قصيرةً جدًّا، تُلوِّح بوشَاحها الأحمر وكان مُرغَمًا على عدم البكاء، لكنَ ظلَّت عيناه تتحسَّسانها عبر الظُّلمة. فجأةً غادرت الابتسامةُ مُحَيَّاه، ضغط على فكِّيه عندما فكَّر بصديقه الملعون "زوبراو"، الذي كان يتعقَّبها دومًا، بعد مرور عام، فيما إذا استطاع العودة إلى المنزل، كما وعده الرجال، حينها عندما سيرى "زوبراو" في منزله، بالتَّأكيد سيقتله.

"في واقع الحال، هل سيتمكن من فعل ذلك؟" تساءل في نفسه، لم يقتل أحدًا من قبلُ، لكنه تمكَّن من التَّغلُّب على رُفقَائه عندما نَشَبَ بينهم عِرَاكٌ للمرَّة الأولى، كانوا قنَّاصين مَهَرةً ويتبوَّلون في بناطيلهم خوفًا! لكنهم في العِرَاك الثاني تغلَّبوا عليه، كذلك في المرَّة الثَّالثة، مثل كل الجنود في كافة أرجاء العالم، ما عدا صديق القلب "شوباكوف" الذي فقده في لمح البصر. كان يُصوِّبُ أمام الرِّجال دائمًا، حيث يُحدِّدُ الهدف ثم يُطلقُ الرصاصَ، حتَّى يهرب الثاني من الخوف. أيضًا كان يوجد دومًا من يعارضه ويقف ضدَّه، في إحدى المرَّات ساندته عائلة سياسية، لكنَ يا تُرى لماذا قُتل "زوبراو"! كان شجاعًا جدًّا، لَكَمَهُ عدَّة مرَّات وَابتهج طويلًا؛ لأنه ظلَّ مُتماسكًا بشدَّة.

ردَّدَ "وارنيف" مُجَدَّدًا أغنيةً أخرَى، لكنه كان يتوقَّف فقط عندما ينفُخُ دُخَانَ سيجارته. في سنوات الحرب الأربع كان يُغَنِّي كلَّ ليلة تقريبًا. مُثارًا في البداية، عندما اهتزَّ مسارُ السَّكينة في حياتهم وتشوَّش عبر التَّسارُع المفاجئ للزَّمن الذي كان ينقضي بسبب الحرب، مكتئبًا في طريق العودة في رحلة ما، عندما كان وقع الحرب في الصَّميم، ومُكتئبًا في الغالب عندما حقَّقوا النَّصر وأرادوا العودة للمنزل مُجَدَّدًا، حيثُ يصعب التمييز بين الفوز والهزيمة. بالنِّسبة إليه بقيَ شيءٌ واحدٌ: الحرب أصبحت بعيدة عن منزله!

حاليًا انقضت الحرب قبل عامين ولا يزال هنا مُجَدَّدًا في هذا المكان، عندما كُلِّفَ بمهمَّة مُراقبة الشَّارع المحاذي للطَّريق السَّريع للسَّيارات، من فيينا إلى براتسلافا وضرورة اعتراض أيِّ شخص يحاول اختراقه لأيِّ سبب من الأسباب.

حصلَ على وُعُود كثيرة بمغادرته ذلك المكان وعودته إلى المنزلَ بعد انقضاء ستَّة أشهر، لكن ليست هي المرة الأولى التي يعده فيها المسئولون بذلك، ولم يتم تنفيذ الأمر مُطلقًا، يبدو أنَّه لامَنَاص من بقائه في تلك البقعة. رحل شركاء القدر والظروف تقريبًا، لكن تلك المرَّة وعده الرِّجال ولن يقف أيُّ حائل في طريقه، سوف نرى.

تنَهَّد "وارنيف" ثم سَحَبَ سيجارته، انشغل بمضغ بقايا ورقة اللَّفِّ في فمه، الأمر مفروغ منه، فكَّر: هل يُدخِّن سيجارة جديدة؟

نظر إلى منزله الذي يسكن فيه، كان كلُّ شيء ساكنًا تقريبًا، يبدو أنهم تركوا النَّافذة مفتوحةً، لأن علامة التَّقاطُع اختفت. فتَّشَ مُسرعًا في جيبه عن سيجارة جديدة كي يُشعلَهَا من السِّيجارة القديمة ولا يعود لإشعال عود الثقاب مُجَدَّدًا. استند مُجَدَّدًا إلى الشَّجرة بسيجارة جديدة في فمه، بدأ يشعر بقدميه، يستطيع الذهاب للاستلقاء، لكن لن يطول الأمر وسيتحرَّك من مكانه.

عبر طَنين السَّكينة، لم يلحظ وجود سيارة مارَّة. ضحكاتٌ خفيفةٌ متلاشيةٌ وظلالٌ سريعةٌ تومضُ خلفَ النافذة المضيئة غُدوةً ورواحًا. ربما تكون مجموعةً من النِّسوة. فكَّر مُجَدَّدًا بـ"غريتلر" التي قابلها الأسبوع الماضي، تلك الفتاة النِّمساوية "ناتاليا"، زوجته، لو أنه عرف ربما سيقول شيئًا لـ"زوبراو".

نفخ دخان سيجارته في النقطة الحمراء المُطْفَأَة؛ كي تلتهب. بعد مرور ثوانٍ قليلة، تخلَّص من تلك الأفكار. استيقظ على صوت خشخشة خفيفة في أوراق الأشجار أعلاه، ثم أخذت تُمطر... اللعنة! لا توجد استراحة هنا.

عدَّل ياقته لأعلى، بللت أولى قطرات المطر المتساقطة من الأوراق وجهه لأسفل، لاحقًا أكثر وأكثر. هبَّت ريحٌ هادئةٌ ومن مسافة بعيدة أصبح صوت نغمة صمَّاء مسموعًا، بينما أضيئت السَّماء من جميع الزَّوايا. فجأةً مزَّق البرقُ الملتوي الذي يسبق العاصفة الهواء من فوقه، مُتباعدًا عن بعضه. في اللحظة نفسها، هبَّت ريحٌ شديدةٌ وجلجلت مرَّةً أخرى أصوات طقطقات عالية واحتكاكات متتالية ناتجة عن موجات رعديَّة قاسية، كانت تسري طُوليًّا بصفة مستمرَّة، مرارًا وتكرارًا باهتزازات وفرقعات سريعة.

في القَطَرات الكثيفة المنتشرة المتَّساقطة، كان المطر يُخَشخش لأسفل. عبر الهواء البارد لضوء البرق رأى "وارنيف" في لحظة زمنية منظرًا طبيعيًّا مُميَّزًا. بفترات زمنية مُتقطِّعة انشطر البرقُ في السَّماء، أضاء الأرض من جميع الزَّوايا، كان الرَّعد يُدَمدِمُ، انعدمت السَّكينةُ. وقف "وارنيف" في وسَط المطر، ظلَّ وجهُه الضَّاحكُ مُركَّزًا لأعلى تاركًا المياه تتدفق حولَه. كانت سيجارتُه تبدو واضحةَ المعالم عبرَ قطرات المياه، ألقاها -مُبتلَّةً- بعيدًا.

فجأةً نظر جانبًا، ظنَّ أنه سمع صوت الموتور، استمع بتركيز ... لا، لقد ابتعد، ما عدا مياه المطر المنسكبة وفرقعات الرَّعد البطيئة أصبحت مسموعةً. مُجَدَّدًا في تلك اللحظات كان الصَّوت هناك جليًّا. بطبيعة الحال عادت سيَّارات الشَّحن التي مضت قبل عدَّة ساعات مُحَمَّلَة بالعتاد الحربيِّ، اقترب الصَّوت. تناول "وارنيف" مُسدَّسه الذي كان لايزال على الشَّجرة ومشى باتِّجاه الطَّريق. لم يستطع أن يميِّز شيئًا، تمنَّى أن يُسعفَه البرقُ؛ لأنه في تلك اللحظات كان بحاجة ماسَّة له، لكنه بقي بطبيعة الحال في الخارج، لم يرَ سوى نافذة مكتب البريد الذي أغلقه الرِّجال مرةً أخرى. لليسار يظهر صفٌّ من المصابيح، ترسلُ في تلك اللحظات لمعانًا طويلًا.

أصبح ضجيج الموتور أكثر حدَّةً وبعد مرور لحظات زمنية قصيرة، وبفعل مياه المطر المتساقطة، دنا ببطء اثنان من المصابيح الرَّأسيَّة، مشى "وارنيف" بحَذَر وفي اللحظة نفسها توقَّفت سيارة اتَّخذت موضع الالتفاف. قطَّب "وارنيف" حاجبيه، جهَّز مُسدَّسه ووضع إصبعه على الزِّناد. أي نوع من البشر كانوا؟ هل رأوه، وهل كان ضميرهم حيًّا؟ فجأةً، بينما كانت العربات واقفة عرضيًّا في الطريق، لاح الضَّوء من مركز بريد الانتظار. عبر النَّوافذ الجانبيَّة للسَّيَّارة في لحظة زمنيَّة رأى "وارنيف" بوضوح رجلًا واحدًا بداخلها، جلس مثل الشَّبح خلف المقود. عادت جميع الشَّاحنات. حاول "وارنيف" قراءة ما هو مكتوب على اللوحة المعدنية، أضيئ الأحمر الخاطف بفعل المصابيح الخلفية، لم يستطع أن يميِّز إن كان روسيًّا؟

مشى مُسرعًا حتَّى وصل إلى مُنتصف الطَّريق، بأقصى مَا يستطيع، لمح وميض البرق ثم رأى بوضوح حرف "G". ظلَّ "وارنيف" واقفًا. ظهرت السَّيَّارة بعجلة محشورة داخل حفرة طينية، كان الموتور يُطلقُ أصواتًا حادَّةً. تشاور "وارنيف" مع نفسه، حولَ ماهيَّة ما يفعله في اللحظات المُقبلَة، أولًا قرَّر إطلاق رصاصة تحذيرية، على الرغم من أنه تلقَّى الأوامر بإطلاق الرصاص فورًا. وجَّه مسارَ مُسدَّسه للأعلى ثم أطلقه، لكن الرصاصة ارتُشفت عبر الرَّعد المرتخي. لذلك لم يسمعه مُطلَقًا! فكَّر "وارنيف"، جلس في السَّيَّارة التي أخذت تتحرَّك ببطء، توجَّه مترًا واحدًا لأعلى الضَّوء الخلفيِّ من ناحية اليمين. ابتسم ابتسامةً عريضةً، لدى تفكيره بطبيعة وجه سائق المركبة، إذا ما دفع فجأةً أمام وخلف العمود لليمين بفعل الرصاصة المطلقة.

أطلق "وارنيف" الرصاص، ضحك! في واقع الحال يبدو أنَّ الرَّجل ارتعب بشدَّة؛ لأنه ضغط على دوَّاسة البنزين من شدَّة الرُّعب، بأقصى ما يستطَيع؛ كي ينطلق الموتور بسرعة، لكنه رفع قدمه فجأة مُبتعدًا، ثم انحسر الصَّوت سريعًا بعد أن تلاشت الزمجرات الأخيرة للموتور، لفَّ السُّكونُ الأجواءَ، ولمعت الأضواء الخلفية بهدوء. بحاجبين مُقطَّبين وقف "وارنيف" لحظات من الزَّمن في الظُّلمة مُحدِّقًا بالسَّيَّارة، حيثُ كان بمقدوره رؤية جزء من السَّطح الذي كان بارزًا قبالة النافذة المضيئة.

- أصبح المطر أقلَّ حدةً.

ليس من المستحسنَ معرفة ما سيفعله، مشى "وارنيف" ببطء إلى العربة، كان من الصُّعوبة المرور؛ لأنَّ الأرض منزلقة. يجب أن يقترب الآن أكثر، انحنى مُجَدَّدًا مُحاولًا اقتناص السَّيَّارة من خلال ضوء النافذة. نَعم، هناك تربُض شاحنة منخفضة، من المحتمل سيارة شخصيَّة. تحسَّسَ مسدَّسه من الخارج وبعد مرور ثوان قليلة لكزه بالمعدن. ومُسدَّسه على أهبَّة الاستعداد ظلَّ "وارنيف" واقفًا. شَعَرَ بقلق غير مريح. مثلما الرَّجل الذئب الملعون، الذي أطلق الرصاص للفور على رأسه، تمنَّى أن يترك مخزن الذَّخيرة يتطاير في الهواء، وليس مرتكزًا بإحكام في مرصد الانتظار. هراء طفل صغير يعلم جيدًا أنَّ حارس الدُّروع يقف في مخزن الذَّخيرة.

حَبَسَ "وارنيف" أنفاسه وأنصت -بفم مفتوح- علَّه يسمع شيئًا! كان كلُّ شيء ساكنًا، ما عدا زخَّات المطر التي كانت تتساقط بخفَّة وهدوء. من المحتمل أن يموت في أيِّ لحظة، قالَ مع نفسه، أطلق الرصاص تحديدًا باتجاه اليمين، عندئذ في آن واحد، شَعَرَ أنَّ الدُّموع تغلي في رأسه: حرف "G"! سيارة إنجليزية! المقود لليمين! لهث "وارنيف".

-الرَّجل مات! أصابه تحديدًا في رأسه!

مرتجفًا انحنى "وارنيف" وتحسَّس الباب -منكفئًا- لكنه عمل المستحيل في ذلك الظَّلام الملعون. مشى بحذر حول العربة غدوةً، وبقي باتِّجاه المربَّع المتقاطع. بكامل طوله، سقط في بركة مياه، وقف مباشرةً مُجَدَّدًا وركض للأمام مَلطَّخًا، أراد أن يندفع إلى المنزل، لكن الباب كان مقفلًا. بمقبض مُسدَّسه، ضرب يده بشدَّة. صراخ الرِّجال وأصوات النِّسوة الخائفات، يجلجل في الدَّاخل. بعد مرور دقيقة واحدة، أثناء ذلك لم يتوقَّف "وارنيف" عن الارتطام بالباب الخشبيِّ، الذي فَتَحَهُ الرَّقيب "كوباشيف".

-ماذا في الأمر؟ اللعنة! سأله بغضب، بينما كان يُزرِّر بدلته الرسمية.

لاهثًا وباحثًا عن الكلمات أخبره "وارنيف" بما حدث بالضَّبط.

- "لحظة"، قال "كوباشيف" ومشى مُسرِعًا للدَّاخل.

بعد هنيهة وصل مع أربعة جنود، مع كلِّ واحد مصباح جيب ثم توجَّهوا بأنفسهم. تُحدِّق خلفَهم عيونٌ خمس من النِّسوة بالمربَّع المضيء في الطريق.

- "لديك بالتَّأكيد مصباح"، دَمْدَمَ "كوباشيف" بغضب عبر الانتقال المفاجئ للهواء الخارجيِّ الرَّطب. مُندهشًا تذكَّر "وارنيف" حزمات الضَّوء الحادَّة التي انزلقت فوق العربات المبتلَّة.

- إنها ليست سيارةً عسكريةً! قال "كوباشيف" وفتح الباب الأيسر. بعينين كبيرتين نظر "وارنيف" حول ذراعه، عضَّ شفته السُّفلى: "بدون مقود!"

من الباب الآخر سَحَبَ الجنود الجثَّة الهامدة للرَّجل المدنيِّ، أحدُهم مزَّق قميصَه، ووضع يده على قلبه.

- "ميتة مورس"، قال هو.

- "أوه يا إلهي!"، لهث "وارنيف"، "ماذا عساي أفعل!".

نظر إلى "كورباشيف" بعينين كبيرتين. سحبه "كوباشيف" جانبًا وتسلَّق السَّيَّارة.

- "افترض أنَّ ذلك لم يحدث، يا فتى. هل هي المرَّة الأولى التي تصرع فيها أحدًا بالرصاص؟" أراد "وارنيف" الإيماء، لكنه حبس نَفَسَه.

- "حسنًا، هل هي المرَّة الأولى؟" صرخ "كوباشيف". ونظر إليه، بينما جلس على المقعد الأماميِّ بقدم خارج السَّيَّارة.

حَرَّك "وارنيف" رأسه.

- " لا تتبرَّم إذًا "، قال هو وبحث في الجيوب والأدراج عن الأوراق.

- "ضع رجلك بالدَّاخل".

مشى "وارنيف" ببطء حول السَّيَّارة، ووضع الرجل الإنجليزيَّ فوق ظهره. مُضاءً من قبل أحد الجنود، حمل الميت الثقيل الوزن متوجِّهًا إلى بريد الانتظار.

الأكاديمي والناقد والمترجم سمير الشيخ

التاريخ هو تقدم الوعي بالحرية

ينابيع الرؤيا لدي بدأت بالفن الذي يحاول خلق أشكال ممتعة

الفلسفة في الشعر انحسرت منذ أبي تمام والمعري

حاوره: سعدون هليّل

الدخول إلى الكون الثقافي للناقد والمترجم والشاعر سمير الشيخ يعني الدخول إلى متاهة الجَمال. فالجمال كل ما يثير المسرة لدى المتلقي عبر فعل الطبيعة التلقائي أو فعل الكاتب المُخلق. مبدأ الجمال لديه مرقوم في كل الواح الوجود. والتبصر الثاقب في السيرة الثقافية للكاتب تظهر انه حاز على شهادة (البكالوريوس) من جامعة بغداد ـ ملية الآداب العام 1975. وحاز على شهادة (الماجستير) في (الأسلوبية الأدبية) من جامعة البصرة ـ كلية التربية العام 1997. يكمل الأستاذ المساعد الشيخ دراسة (الدكتوراه) في السيمياء المقارنة في الأسطورة في جامعة بغداد، كلية الآداب، فيما يلقي محاضراته في الشعر الإنكليزي في جامعة ميسان ـ كلية التربية منذ العام 2004. شارك في مؤتمرات عالمية في الولايات المتحدة وإنكلترا إضافة إلى العراق، وهو عضو في جمعية TESOL في الولايات المتحدة، وعضو في جمعية (اللسانيات الوظيفية) SFL في (سدنـي).

صدرت للكاتب المؤلفات الآتية: (القصائد المائية: دراسات اسلوبية في شعر نزار قباني، دار الفارابي، بيروت، 2008)، (الثقافة والترجمة: أوراق في الترجمة، دار الفارابي، بيروت، 2010)، (الوردة والرماد ـ شعر، دار الينابيع، دمشق، 2010)، (تحولات زهرة العباد: في الخطاب النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2011)، (الزنبقة الصوفية: في جادة النقد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2012)، (الغاب: دراسات أسلوبية في الشعر الحديث، دار الفارابي، بيروت، 2012)، (الوردة الزرقاء عند الغسق (بالإنكليزية)، Bloomington: authorHouse، 2012).

في هذا الحوار تناولنا ينابيع المعرفة لدى الكاتب ومدارات اشتغالاته إضافة إلى الثقافة وفلسفة التاريخ.

• الجمال والحرية جناحان غميران في مائية الشعر وزرقة الفلسفة، كما تقول في كتابك (الزنبقة الصوفية)، فما ينابيع الرؤيا لديك؟

أزمنة الكاتب أزمنة متحولة، فالمولد العظيم للوعي لا يهزل، وهو لم يكن يوماً من بنات الأزمنة المترتبة، إنما هو الرواية الكبرى تلهمه الفكرة الفلسفية للكون والدور الذ يمكن لذلك الروح الإنساني (الكاتب) ان يلعبه في دراما الوجود. فالوجود الرواية الكبرى.. رواية الفكر البشري على مستوى الفرد ـ الكاتب تتشكل من مختلف المعارف والثقافات والمرئيات التي تُخلق وتعدل من الصعود المعرفي اللامتناهي حيث يندفع الفكر النقدي الحر إلى أقصى مدياته مخلفاً وراءه هامشيات الثقافة المتدنية ـ ثقافة العرق واللون والطائفة والتدين الزائف والتي تغذيَ دوافع العنف تغذية راجعة. وأحسب ان ينابيع الرؤيا لدي قد بدأت بالفن. فالفن في معتقد (هربرت ريد) محاولة خلق اشكال ممتعة. ومثل هذه الأشكال تشبع احساساً بالجمال عبر الوحدة والتناغم بين مجموعة من العلاقات الشكلية من بين الأشياء التي تدركها حواسنا. هذه الأشكال الممتعة كنت اراها معلقة على جدران مرسم (المتوسطة المركزية) في (العمارة) بين الأعوام 1965 ـ 1967). كان خالقها الفنان التشكيلي (شوكت الربيعي) الذي يقيم في ايطاليا الآن، فيما كان يغذي مخيلتي صديقي التشكيلي (مازن سامي) الذي يقيم في الولايات المتحدة الآن وهو يشرح لي فن الكولاج ومعنى اللون. هذه الغائية الجمالية ما كانت لتكون تكون لولا التداعي الحر. في (المكتبة المركزية) في (العمارة) قرأت (نزار قباني) أول مرة. كانت تلك الدواوين المنمنة حد الأنوثة تعمق الوعي بالفن لدي. وأفترض انني قرأت فلسفة الجمال عند (كانت) على سبيل المحاكاة. ثمة نبع آخر للرؤيا ـ الأسطورة في فن السينما. ففي نهاية الخمسينات ومنتصف ستينات القرن العشرين راجت موجة أفلام (السيف والصندل) التي تصور مآثر (هرقل) والأفعال الخارقية التي كان يقوم بها، متخذة هذه الأفلام الحضارات القديمة كالبابلية والمصرية الخزانة الفكرية لها. كل ينابيع الفن تلك قد غدت ـ فيما بعد ـ الزرقة التي شكلت دراساتي النقدية في مسارها الثقافي.

الفلسفة علم القوانين العامة للوجود والتفكير الإنساني وعملية المعرفة

• في نتاجك النقدي والشعري ثمة مفردات تتكرر مثل (الوردة)، (الزرقة). أفهل هذه المفردات من حلى الكتابة لديك أم ان هناك فلسفة ما عبر الرمز؟

عندما تتكرر مفردة ما في لغة كاتب بصورة واعية فإنها سوف تصبح رمزاً بعد آن. الوردة في الوعي الجمعي البشري رمزية جمالية، لكنها بالنسبة لي تشكل بعداً آخر. الوردة الزرقاء ـ والتي لا وجود لها في الواقع ـ هي الجمال الفكري المثالي اللامتناهي. ربما تسلل هذا الرمز إلى كتاباتي بفعل طول مصاحبتي للرومانسيين الإنكليز، إذ يشكل (جون كيتس) غربياً و(نزار قباني) مشرقياً مرجعيتي الشعرية، فيما يشكل (كانت) و(كروتشه) مرجعيتي الفلسفية في نظرية الجمال. لذا، ليس من الفجاءة أن تكون (النقدية الجمالية) الذي طرحتها في كتابي الأول (القصائد المائية) مقاربة نقدية تقوم على ربط التحليل اللساني للخطاب بفلسفة الجمال ـ ولنقل ـ عند (سانتايانا) في إدراك معنى الزرقة في شعرية قباني. ربما ارتبطت تداعيات الوردة أيضاً ببعد سيكولوجي وتجربة شعورية واقعية هي تجربة (روزا أليشيا أشيعيا) ـ الغادة المسيحية القادمة من استراليا في المرحلة الجامعية (1971 ـ 1975) والتي أصبحت بالنسبة لي مصدر غبطة. هذه التجربة قد علمتني الوله الطفولي بالجمال مثلما علمتني معنى المحبة في الأديان.

• لماذا اختفت التيارات الفكرية والمدارس الفلسفية من الأدب العربي؟

في حيوات الحضارات ثمة تحولات ليس على مستوى الفكر حسب بل على مستوى الحساسية الجمالية والثقافية كذلك. صحيح ان الحساسية الجمالية ثابتة وولكن الصحيح أيضاً أن المتغير هو أدراك الإنسان وفهمه مثلما ان العنصر المتغير في الفن هو التعبير. هذا النمو الثقافي الجمالي يأتي عبر ذلك الإدماج بين الثقافات في الزمان والمكان، كما حدث في الثقافة الهلينية والثقافة العربية الإسلامية في العصر العباسي الأول (812-712) و ما تلاه من قلائل القرون. لكن هذا الوريق قد احترق بسقوط غرناطة العام 1492 وانحسار الفلسفة بعد ابن رشد. هذا الفراغ الفكري قد قاد إلى سطوة المؤسسة الدينية الكهفية التي غالباً ما وقفت وتقف ضد ارتقاء الفكر الحر من أجل تطور النوع الإنساني. والأدب بوصفه دراسة النوع الإنساني عبر ممر التخييل قد كف ـ وبسبب من غياب الفضاء المعرفي الإنساني ـ عن توليد الأنماط الفكرية الثقافية الجادة والمعنية بتشريح النفس البشرية عميقة الغور. فالفلسفة في الشعر، مثالا، قد غادرت مملكة الشعر منذ أبي تمام والمعري لتورق وبشكل نادر في شعرية (ادونيس).

• إذا قلنا إن التاريخ فان، كما قال هيغـل، فما برأيك الغائية التي يسعى التاريخ لتحقيقها؟

يأخذ التاريخ في معتقدي شكل الاستنارة. فالاستنارة ـ كما يقول كانت ـ القدرة على التفكير على مستوى الفرد دون إحالة إلى سلطة قهرية خارجية، والتاريخ كل التاريخ إنما هو قصة الحرية. يرى أصحاب نظرية التقدم ان تاريخ البشرية يمر في مسار تقدمي تتطور خلاله المعرفة الإنسانية وتقترب شيئاً فشيئاً نحو الغاية النهائية للمجتمع البشري وهو تحقيق الحرية والسيطرة التامة على الطبيعة. فالنزعة الإنسانية والإشراق المادي والروحي والتطور التقني تشكل في كليتها غائية التاريخ. غائية التاريخ تروم الكشف عن النظام والإضطراد إذا ما اعتبرنا التاريخ وحدة كونية وبنية إنسانية تتشكل من مجمل الحضارات البشرية. الفكر الفلسفي الهيغلي أمن بفكرة ان العقل يسيطر على العالِم، وأن تاريخ العالم يمثل أمامنا بوصفه مساراً عقلياً. أمن هيغل بمبدأ التطور مثلما هو ماركس عبر فكرة (الجدل) أو (الديالكتيك)، كما آمن ان التاريخ هو تقدم الوعي بالحرية.. الحرية التي عرفتها أمم الغرب (بالطبع) دون الشرق. إلا أن هيغل ربط تفسيره العقلاني للتاريخ بمسألة قداسة الدولة متخذاً الدولة الألمانية نموذجاً مثالياً، فهي بالنسبة له ـ وبسبب من عصبية قومية ربما ـ (نهاية التاريخ). فالدولة في نظر هيغل هي مركز الفن والقانون والأخلاق والدين والعلم ونشاط الروح كله ليس له إلا هذه الغاية وهي ان تصبح واعية بهذه الوحدة، كما يقول هيغل نفسه. الدولة في نظره هي الفكرة الإلهية كما توجد على الأرض. هذا الربط بين الدولة ومسألة الحرية لم يتحقق بعد ذاك، بل كان ظهور النازية والدولة النازية والاتجاهات الفاشية الحصاد المر لهذا الربط القسري ما بين الدولة والحرية.

• كيف ترى مصطلح (نهاية التاريخ)؟ وهل هنك فعلا نهاية للتاريخ من وجهة نظر فكرية؟

السياسات الكونية كالسياسة الأمريكية لا تثبت في فراغ أنما هي تستند إلى مقولات فلسفية. والفلسفة بكونها علم القوانين العامة للوجود (أي الطبيعة والمجتمع)، والتفكير الإنساني وعملية المعرفة، كما تقول (الموسوعة الفلسفية)، وبكونها شكل من أشكال الوعي الاجتماعي، فإن من شأن الفلسفة ان تسبغ على السياسات بعداً تبريرياً كونياً صدقاً أو كذباً. قامت السياسة الأمريكية بادئ الأمر على الفلسفة البرغماتية. وكان الآباء الأوائل لهذه الفلسفة (بيرس، جيمس، ديوي) نبت الأرض الأمريكية. وبعد سقوط المنظومة السوفيتية وحدوث الفراغ الكبير، كان لا بد من فلسفة جيدة لقيادة العالم، فكان (فوكوياما) ومؤلفه (نهاية التاريخ) متبعاً خطى الهيغلية في ربط الدولة الحديثة بشرط الحرية. وفي معتقدي لا نهاية للتاريخ بوصفه سفر الإنسانية مع الزمن نحو التقدم، وليس هنَاك من دولة سواء كانت ليبرالية أم ماركسية أم اسلامية يمكن أن تشكل نهاية التطور. يمكن للناقد العارف ان يلحظ في خطاب (فوكوياما) بنية سطحية معسولة تؤكد نهاية تاريخ الاضطهاد والنظم الشمولية، وإحلال الليبرالية وقيم الديمقراطية الغربية بديلاً لحل أزمات العالم. ليس هذا حسب، بل على الولايات المتحدة ان تستخدم القوة في ترويجها للديمقراطية إذ (على الساسة وهو يقيمون الأخطار ان يدرسوا بعناية اكبر القدرات العسكرية لا النوايا)، كما يقول (فوكوياما). ولكن البنية العميقة تظهر ان (نهاية التاريخ) إنما هو (الإنجيل) الجديد وان (فوكوياما) عراب المسيحيين الإنجيليين أو اليمينين الجدد. يؤكد (روبرت آشكروفت) ان الله أوكل إليه مهمة الدفاع عن الولايات المتحدة وبالتالي عن الديمقراطية الغربية والمسيحية ضد آفة الإسلام، كما تنقل ذلك الكاتبة (باربرا فيكتور) في كتابها (الحرب الصليبية الأخيرة). بذات الخطاب المسيحي الليبرالي فقد أوحى (الرب) إلى الرئيس الأمريكي بغزو العراق العام 2003 منطلقاً من مقولته أن لا يمكن للمرء ان يكون رئيساً لهذه البلاد (الولايات المتحدة) من دون قناعة بأننا الأمة الوحيدة الخاضعة لأوامر الله. من ضفة ثانية قاد الخطاب الخشبي والمراهقة السياسية والحروب العبثية إلى هذا التحول الدرامي في العراق في بواكير القرن الجديد. فلسفياً، يرى (فوكوياما) ان تاريخ الصراع الأيديولوجي ينتهي بانتصار الحكومة الديمقراطية الليبرالية، هو يدرك امكانية تحقيق ذلك بفعل القوة العسكرية المهولة والأوديسا الإعلامية ذات التأثير. وكان من استراتجيات الانتصار من اجل نشر الليبرالية الديمقراطية (الصدمة والرعب) shock and awe التي طبقها (رامسفيلد) في الهجوم على بغداد. فالمسألة أبعد من تأمين مصادر الطاقة للحياة الأمريكية. يقول (فوكوياما) ان المحور الرئيس للتاريخ هو نمو الحرية. ولكن الذي حدث بعد ذاك نمو الإرهاب. والنوايا الخيرة التي قال بها السيد المسيح قد تحولت في منظومة (النظام الجيد) ومنهج (التدمير الخلاق) إلى جرثومة قادت إلى تدمير آثار أعظم حضارة في التاريخ. يعترف (فوكوياما) لمجلة (المعرفة) البريطانية العدد 10 آذار 2010 ان جورج بوش لن يتمكن من جلب الديمقراطية للعراق بمجرد رغبته بذلك. الذي لم يدركه (فوكوياما) ان حتمية التاريخ تؤكد انتصار الحس الإنساني وشرط الحرية لدى امم الأرض النزاعة إلى السلم والمحبة لا إلى الهيمنة والتدمير. فالحضارات قد تُدمر مادياً بفعل آلهة العدوان ولكنها لن تُهزم.

• مقالاتك في (الكاماسوترا) التي نُشرت في (الطريق الثقافي) موخراً أثارت اهتماما واسعاً. هل سبق أن توسعت في المفهوم؟ هل ستصدر كتاباً ما؟

(الكاماسوترا) تقع في دائرة ما أدعوه (الفكر العابر للثقافات). فمثلما هناك (كليات لسانية) قالت بها (النحوية التوليدية) فإن هناك كليات ثقافية أو ما أسميته في كتابي (الثقافة والترجمة) (كونية الثقافة). إن مفاهيم من قبيل (الجمال)، (الجنس)، (الحب) هي مفاهيم كونية تجدها مطروحة في كل ثقافات الأمم. بعد (الأسلوبية الجمالية) ومفرداتها سوف يقع كتابي القادم في دائرة الدراسات الثقافية حيث أنماط الثقافة تجد تجلياتها لا في النماذج الأدبية المتعالية حسب، بل أيضاً في الشعبي المتداول.

• في ضوء تخصصك الأكاديمي قدمت مفهوم (الأسلوبية الجمالية). فما (الأسلوبية الجمالية) حقا؟

(الأسلوبية الجمالية) مقاربة نقدية توحدن الوصف اللساني بالتأويل الجمالي منطلقة من تصور مفاده ان اللغة حاملة للثقافة. ولما كانت لغة الشاعر (وليس الشعر) تشكل خرقاً قصدياً لممكنات اللغة، فهي جمالية بهذا المعنى.. لغة تثير الإدهاش واللاتوقع عبر تخليق الصورة الشعرية التي تقوم على مبدأ التعالق المتنافر داخل مجرة الأسلوب. فالأسلوب ـ من منظور لساني ـ الصياغة التعبيرية المغايرة والمتجلية على المستوى النحوي ـ الدلالي، بل والصوتي أيضاً. فالخطاب المغاير بأسلوبيته المتفردة خطاب يثير الغبطة الجمالية لدى وعي القارئ الجاد.

الاندماج بين الثقافات انتهى بسقوط غرناطة العام 1492 وانحسار الفلسفة بعد ابن رشد. هذا الفراغ الفكري قاد إلى سطوة المؤسسة الدينية الكهفية التي غالباً ما وقفت وتقف ضد ارتقاء الفكر الحر من أجل تطور النوع الإنساني.

• على أي أسس يمكن رسم خطوط الثقافة المستقبلية برأيك؟

الثقافة، في واحد من تحديداتها المعرفية، الشبكة المعقدة من نُظم العقائد والسلوك وطرائق التفكير. والثقافة تحيل بوجه عام إلى أنماط النشاط الإنساني والأبنية الرمزيةالتي تُسبغ على هذه الأنشطة أهميتها، كما جاء في كتابي (تحولات زهرة العباد). ولما كانت الثقافة نتاج العقل والروح الإنساني، فمن المفترض ان تقوم على احداثيات ثلاثة: االتعبير الحر والتفكير النقدي والبحث العلمي. ومن المؤكد ان هذه الاشتراطات تقف ضد الانغلاق الفكري وتَقبُل الفكر ـ الآخر دون تحليل عقلي. هذا يصح ربما في كل ميادين الحياة وفي مقدمتها السياسة والاقتصاد.

• هناك من يؤكد ان الرواية فن المستقبل العربي؟ هل تقف مع هذا الراي؟

في زيارتي للولايات المتحدة العام 2009، زرت إحدى المكتبات العملاقة (بارنز ونوبلز) في (واشنطن) ومن ثم (بالتيمور). وجدت دليلاً يقول (الأدب) ـ بجل أجناسيته ـ فيما آخر يقول (الرواية). هذا يشي ان الرواية فن العصر. قد يرتبط الأمر ربما بثقافة العصر وهي ثقافة عقلية. و قد يفسر هذا هيمنة رواية الخيال العلمي ليس في الأدب بل في السينما أيضاً. لكنما الرواية ليست بالمعرفة حسب، بل هي مسؤولية إزاء مشكلات الإنسان بوصفه أعلى حلقات التطور في الأرض، وهي مسؤولية لا تخلو من حس اخلاقي. فالأدب بوجه عام والرواية على وجه أدق ليس بالهذيان اللفظي إنما هو نتاج تخييلي يحمل رؤية للعالم. من هنا يجد الروائي الفضاء الأعظم للتعبير. فإذا كان الشعر فن الحذف، فالرواية فن التفصيل. الروائيون وهم يقدمون السرد إنما يستدعون الخليقة وهم يتماهون معها حتى ولو كانت تجاربهم مختلفة عن تجارب الآخرين. والروائي العربي الحداثي ليس بمنأى عن مشكلات العالم وإيقاع العصر. من هنا.

• ما الدراسات التي تشغل محور تفكير؟

إضافة إلى فن الرواية فإن ما يشغلني الآن نظرية الرمز أو نظرية العلامات. فبالرغم من الكثرة الكاثرة من الترجمات لهذا النظرية إلا أن النتاج المترجم يأتي برطانة لسانية تعبيرية نحسبها إبهاما في الخطاب الأصل، والأمر ليس كذلك. أنني أفكر بتقديم النظرية لا بقصد التنظير المتعالي بل بقصد أمكانية تطبيق نظرية العلامات في شتى ضروب الفن ومنها الشعر والرواية والتشكيل والسينما بل وحتى الأساطير بوصفها السياق الإنساني أو المغامرة الكبرى لوعي الإنسان الأول بهذا العالم.

معارض الكتاب..

الروايات العربية الأكثر مبيعاً في معارض الكتب

الطريق الثقافي- خاص

أعلنت "دار الآداب" اللبنانية، المتخصصة في مجال الرواية، بأن الروايات الخمس التي تصدرت المبيعات والتي نفد الكثير منها هي، روايتان للكاتبة التركية إليف شفق "لقيطة إسطنبول" و"40 قاعدة للحب" اللتان نفدتا بالكامل، و"مملكة الفراش" للروائي الجزائري واسيني الأعرج، و"ذات" لصنع الله ابراهيم، التي حولت إلى مسلسل تلفزيوني سبق عرضه، والرواية الصوفية "ياسين قلب الخلافة" للكاتب المغربي عبدالإله بن عرفة.

أما "دار ورد" السورية المختصة بأدب الخيال والأدب الواقعي فأشارت إلى أن الكتاب الأكثر مبيعاً لديها هو "المثقفون المزيفون" للكاتب الفرنسي باسكال بونيفاس، الذي يحكي فيه عن النصر الإعلامي لخبراء الكذب، ويليه أعمال واسيني الأعرج والروائي السوري حيدر حيدر.

وأشارت "دار الساقي" اللبنانية إلى أن أكثر الروايات مبيعاً كانت روايات "لوعة الغاوية" لعبده خال و"شريد المنازل" لجبور الدويهي و"أوكي مع السلامة" لرشيد الضعيف.

واحتلت الرواية مركز الصدارة أيضا في مبيعات "دار الساقي" اللبنانية، وفي مقدمتها أعمال الروائية أحلام مستغانمي وأشعار نزار قباني والروايات البوليسية المترجمة للكاتبة ماري هيغنز كلارك، والرواية التاريخية "جنود سالامينا" للكاتب الإسباني خافيير سيركاس، تليها رواية "منصب شاغر" لكاتبة روايات هاري بوتر البريطانية ج ك رولينغ. وفي دار "الشروق" المصرية تربعت رواية "نادي السيارات" لعلاء الأسواني على رأس القائمة، في حين تصدرت رواية "كاهن الخطيئة" قائمة كتب دار "فضاءات للنشر" الأردنية للكاتب الإعلامي محمد برهان، ورواية "عائد إلى حلب" لعبدالله مكسور. كما حازت كتب أدب الرحلات الأفضلية في المبيعات في جناح هيئة أبوظبي للسياحة، واحتل كتاب "الإمارات وما جاورها من البلدان" إصدار عام 2013 قائمة الأكثر مبيعاً في شركة الوراق للنشر المحدود ببريطانيا، فيما تنوعت مبيعات الكتب المتخصصة بالمسرح في جناح الهيئة العربية للمسرح، والتي باعت ما يقارب 13 ألف نسخة.

المغرب ضيف الشرف في معرض فلسطين الدولي للكتاب

الطريق الثقافي- خاص

بدعوة من وزارة الثقافة الفلسطينية، يحل المغرب ضيفا شرفيا على معرض فلسطين الدولي للكتاب الذي سينعقد من 10 إلى 20 أبريل 2014. وأعلنت وزارة الثقافة، أنها أعدت بمناسبة هذا التكريم الموجه إلى الثقافة المغربية، برنامجا متنوعا يتوخى الاستجابة لرمزية المناسبة.

وفي هذا السياق سيتوجه إلى رام الله وفد ثقافي مغربي برئاسة محمد الأمين الصبيحي، وزير الثقافة، الذي سيلقي كلمة في حفل الافتتاح الذي يقام مساء الخميس 10 أبريل. أما على مستوى العرض الوثائقي، فسيتم عرض نتاج مغربي من الكتب يتألف من 1100 عنوان بمجموع نسخ تتجاوز 4000 نسخة، على أن يهدى قسم مهم منها إلى وزارة الثقافة الفلسطينية بعد المعرض.

ويعود هذا النتاج إلى 12 عارضا مباشرا، ويتعلق الأمر بوزارة الثقافة ووزارة الأوقاف ووكالة بيت مال القدس والرابطة المحمدية للعلماء والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية وكلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط ومجلس الجالية المغربية بالخارج، بالإضافة إلى دور نشر مثل إفريقيا الشرق ودار التوحيدي ودار توبقال، ودار الأمان، التي تنوب عن أكثر من 24 دار نشر ومؤسسة. وستتمحور الفعاليات الثقافية المغربية المواكبة للتظاهرة، بعدد من الندوات منها ندوة "فلسطين في أعين المغاربة والمغرب بعيون فلسطينية"، وندوة "مسارات في الرواية المغربية والفلسطينية"، وندوة "مغاربة القدس" بالإضافة إلى قراءات شعرية، وتوقيعات كتب، وكذا فقرات موسيقية وعروض سينمائية. ويشارك في هذه الفعاليات كتاب ومبدعون مغاربة منهم: محمد برادة وأحمد المديني وحسن نجمي ويوسف فاضل وعبد الرحيم بنحادة وإدريس الملياني ووفاء العمراوغيرهم.

معرض بولونيا لكتب الأطفال الحادي والخمسين في إيطاليا

الطريق الثقافي- خاص

تجمع ناشرو كتب الأطفال من جميع أنحاء العالم في معرض كتاب الأطفال الشهير (الأمل المشرق) الحادي والخمسين في مدينة بولونيا الإيطالية، الذي نظم في الفترة بين 22 إلى 27 آذار/ مارس الماضي.

وتضمن المعرض أجندة واسعة من الاجتماعات وورش العمل و أنشطة مختلفة للأطفال وتوقيع كتب ومعارض تفاعلية (بما في ذلك القبة السماوية داخل القاعة الرئيسة).

وتراوحت العروض بين كتب الأطفال الكلاسيكية والإصدارات الجديدة والكتب الفائزة بالالقاب والجوائز في جميع الفئات، مثل الكتب المصوّرة والكتب المخصصة لبعض الفئات العمرية المحددة وكتب الفنون والحرف وكتب الكوميديا والرقص، وخصوصاً الكتب المصوّرة التي وضعها عدد كبير من الرسامين البرازيليين كون البرازيل هي ضيفة المعرض هذا العام .

"الرؤى والأمكنة" لزيد الشهيد

شعرية الشر

د. فاضل عبود التميمي

(الرؤى والأمكنة)، كتاب جديد للأديب(زيد الشهيد) صدر عن دار الينابيع في سوريّة ط1: 2010،وهو متن نثريّ بملامح شعريّة يقرأ الأمكنة(الليبيّة) التي عاش فيها الشهيد إبّان التسعينيات من القرن العشرين، وأوائل الألفية الثالثة موّزعا بين التأمل،واستنطاق البصر،واجتلاب صور ما وراء النظر مدونات شفيفة لأماكن مرّ عليها مسافراً،أو مقيماً لساعات،أو لأيام،أو سنوات.

يدخل (زيد الشهيد) الأمكنة بمخيّلة شاعر،وسرديّة ناثر،وروحيّة إنسان شفيف،لا همّ له سوى الوقوف عند المكان، واستنطاق خلجاته،واستقبال تأوهاته،بلغة شعريّة تنث على الكتاب من مصادر يعي المتلقي تماماً أنّها تسهم في إبراز جماليات تكشف عن قدرات مخفيّة تتحكم في تشكيل القانون اللساني في النصوص لعلّ من أهم مصادرها:

الوصف:

تنفتح لغة الكتاب على جملة من أساليب الكتابة الشعريّة لعلّ من أهمها:(الوصف) الذي يسهم في تحديد الصورة البصريّة للمكان،وموجوداته،ساعيا الى (تحويل المرئي الى مقروء)، بهدف الاتصال بالمتلقي، ووضعه في قلب المكان من خلال الإحاطة بالجغرافيّة، وتفصيلاتها النفسيّة عندها يصبح الوصف خطابا يسم كلّ ما هو موجود بالتحديد معطيا إياه التميز الخاص، والتفرد داخل نسق الموجودات المشابهة له،أو المختلفة عنه ،فكيف والوصف مهيمن شعريّ تعمل وقفته على إبطاء حركة السرد المتنامية الى الأمام بهدف تقديم مشهد ممزوج بالتأمل.

السارد في (الرؤى والأمكنة) يعيش الوصف،والسرد معا فتتفجر دهشته لحظة أن يبصر الأشياء تقفز الى جسد النص لتكون بعضا من نسيجه الذي لا يمكن استئصاله من مسار الحدث ،لنقرأ وصفه لتمثال الفتاة: النافورة: (إنثناء ساقيّ الفتاة يعكس شبقا متفشيّا يأخذ على عاتقه هيئة الجلوس مع انفراج حتميّ للفخذين،بينما ارتفاع الذراع اليمنى يطوّق عنق الغزالة كأنه استنجاد لمشاركة،أو دعوة لإنقاذ....) .

هذا الوصف المبني على المشاهدة الحسيّة،والنفسيّة المشبعة بالرؤيّة التجسيديّة لا تقدمه السرديّة تقديما مجرّدا من حدود الهواجس،وطرائق الاتصال بالفجوات الحلميّة الراكضة في اللاشعور،وإنما يتمّ تقديمه برغبة البوح الشعريّ الذي يكشف عمّا وراء النظر لا للتزيين،وإنما للتفسير الشعري المتأمل،فعند السارد أن الوصف حساب يتضافر،والتأمل في لحمة شعريّة هاجسها الزمان: (أنا اجري حساب الوصف/التفاصيل: التأمل...أغرق في ثمل النهل،وأشرب عبّا تأوهات اللحظة.

فالوصف المبني على وفق اللغة المنبهرة بالمنجز المكاني يعطي المتلقي فسحة التأمل المكاني مقرونة بالتخيّل البهيج: (الوجه – الذي لم أتبين ملامحه – لقرآن كبير مفتوح تتفاعل على أوراقه البنيّة العتيقة نبرات الترتيل الخفيض بالكلمات المنحوتة الرسيخة)، فالوجه الذي عناه السارد بالوصف،والإحاطة يكشف عن مظاهر رؤيويّة متشكّلة من التصويت الخفيض لنبرات الترتيل بالكلمات المنحوتة من حجر السمع،والترديد.

وهناك الوصف الإستهلاليّ الذي يشكّل عتبة تتولى مهمّة الانفتاح الأوّل على ذاكرة المتلقي ليكون بنية شعريّة تقوم بإضاءة المتن بوساطة ضربة سرديّة جامعة كما في نص(البحر) الذي يتولى فيه الاستهلال الشعريّ ذو البنية المكثفة تقديم صورة واضحة لطبيعة المكان-البحر:

تأبط المرايا
واستعانَ بالألق
البحرُ
الذي رداؤه النسيم ص 14

إنّ الوصف الاستهلالي الشعري غالبا ما تبنى صورته على تأمل النمط المكاني،وتحديد أبرز مفاصله الفاعلة في الإبصار،والتلقي وهذا ما يبدو في نص آخر هو نص (الغزالة) الذي تولت فيه المخيّلة الوقوف أمام النافورة،واستعارة أنساق الغزالة في صورة فتاة للإنتباه الى أدقّ التفاصيل الجماليّة التي تغطي جغرافيّة المكان:

تمايست النِسمة تحاكي جناحَ التنهد
تسند كوعا على سور الإمتلاء
تبرعمَ الهواءُ
انثال فِيض الشجن
ارتشف من كأس إشراقة العيون
وانطلقت ..غزالة تلتهم البواديّ ص 24

وقد يكون الوصف الاستهلالي تعريفيّا يقوم بمهمّة سرد العنوان،وتحليل الدلالات المتّصلة بالمتن ففي رؤية(قلادة من الواحات.. الجفرة)يقوم الاستهلال بتعريف المتلقي بدلالة المكان (الجفرة:إيقاع جغرافيّ متشكل على اتساع تستفزّه شذرات خضر مموّهة بسوائل مائيّة تولّدها آبار من مدّ سحريّ يهب طراوة تقاوم قسوة الجفاف...ملامح تتعالى فوق قبح الأخاديد واللفح)، فسياق التعريف ينحاز الى اللغة المجازيّة التي تتجنّب الخوض في الثوابت، وحقائق الموجودات ليسهم في رسم شعريّة سرديّة تنحاز الى المكان.

وهناك الوصف الاستهلالي الزمني الذي تمتدّ دلالته الى زمن ما ليكون بوّابة للدخول الى المكان كما في الاستهلال الآتي الذي يتحدث عن واحة (هون): لم يكن دخولي الواحة من واجهتها الشمالية، أو الجنوبيّة،ولا من اتجاهها الشرقي، أوالغربي إنما من العام 1928، وتحديدا الساعة الخامسة عصر اليوم الخامس عشر من نوفمبر، فهو استهلال ذو بنية زمنيّة تتشابك أذرعها مع اتجاهات مكانية معروفة،فالعام 1928 يمثل استهلالا زمنيّا تتبعه مظاهر زمنيّة أخرى تتخذ من المكان حيّزا ثابتا لها لتسهم في التقديم لشعريّة الأمكنة في مظان آتية يرغب المؤلف التحليق بها.

والوصف الاستهلاليّ تنهض مهمته من طبيعة العلاقة الرابطة بين تشكله النصي،وحالة السرد التي تتلبس السارد،لنقرأ استهلاله الوصفي للكاتدرائية: (هيكل مشهديّ/ نحتيّ/ هندسيّ/أخاذ..)، فاللغة المنبهرة بالمكان تأخذ شكل انبهارها المقتصد من المشهد نفسه، أي من مراقبة صورة المكان هندسيّا، وهذا ما يبدو في:((تأخذ النافورة شكل زهرة عباد الشمس تحملها رؤوس أربعة لأحصنة تطلق صهيلا صامتا يتوارى تحت نثيث الماء المندفع من زغب نافر يؤلف سورا دائريّا تحيطه الأوراق الطويلة المنحنية بتراخ هارموني).

وهناك الاستهلال الوصفي المتكئ على المعطى المجازي: (همّت تلك الغيمة الدكناء، وهي واحدة من قطيع هلامي بقّع زرقة السماء،وموّه بعضا من جسدها السمح،فسفحت ظلا كان يدبّ على تعرجات الأرض الباعثة امتداداتها صوب أماد بلا حدود...)، فالغيمة تهمّ تجسيدا لفكرة أن المجاز يفعل ما لا تفعله الحقيقة،وتسفح ظلا تدب فيه الحركة استكمالا للمهمة المشرقة من حدود الحس والحركة.

الإسترجاع:

غلبت الإسترجاعات على متن الكتاب تأكيدا على سرديّته الواضحة،فجميع النصوص الإسترجاعيّة تستحضر جُملا ذهنيّة على لسان السارد يتمّ سردها بوساطة التداعيات النفسيّة،والمونتاج الزماني، والمكاني،والصور الحلميّة معايشة الحدث الماضي في اللحظة الحاضرة فيستحضرها المؤلف كما لو كانت كائنة في اللحظة الآنيّة للسرد( )في أمكنة معلومة لها علاقة بالسرد وآلياته،وهي في مجملها تحاول أن تقتنص الزمن الماضي، وتزج به في الحاضر،إما لمحاكمته،أو لإضفاء جماليات اللحظة العابرة على طبيعة تشكّله النصيّ، أولاسترجاع ملامح تفاعله الإطاري التاريخي.

والاسترجاع بتقنيّته الزمنيّة الملتفتة الى الماضي يسهم في إنهاض النص شعريا ليس لأنه مبني بالسرد،والسرد كما هم معروف فرع من فروع الشعرية،وإنما لأنه يكشف عن مفارقة اللعب بالزمن،فـ(طرابلس)مثلا المدينة القديمة بأقواسها ومناراتها،وسورها، وأزقتها،وأسرارها،وخلجات دواخلها،أي بأمكنتها الفاعلة في تخيّل الكتابة تسترجع جزءا من نسقها الشخصي:((بصرخات النسوة المقتحمات بخناجر المخاض،وأشباح الموت المترصدة، أو الخارجة لهن من وراء أستار التخفي))( )،الاسترجاع هنا قرين التذكّر الوقائعيّ المبنيّ على استلال الحكاية من مصادر عارفة يريد السارد تلغيز دلالتها،والبوح بها يوما بوساطة التأويل .

والذاكرة تسترجع صور الأمكنة لغرض الموازنة بين مكانين-ماءين:بحر،وآخر مع أن البحر واحد:((أعود الى صيف العام 1974 أمواه المتوسط عند بيروت الميناء تسربل أجسامنا في واحدة من سفريات السياحة))( )،ثم تسترجع الذاكرة ذاتها أمواه المتوسط في طرابلس ليبيا:((وها أنا أحصي أمواهه بعدما جرت دقائق الذكرى سراعا ..أقول لعلها المياه نفسها التي غطست في هلام طراوتها قبل عقدين))( )،إنّ – لعلّ- هنا تكشف بتواضع جمّ حجم التمني الذي صنعه المكان في ظل استحالة نفسيّة قاهرة لا يمكن تحققها.

إصدارات..

مجلة "الهامشيون" عن منتدى دار الحقيقة للثقافة

الطريق الثقافي- خاص

عن منتدى "دار الحقيقة للثقافة" صدر العدد 19 من مجلة "الهامشيون"الفصلية التي تعني بثقافة الحرية، ضمن المجلة مواد متنوعة عدة في القصة والشعر والنقد والفكر. من محتويات العدد نذكر"من أجل استعادة الهوية العراقية" دراسة للكاتب صاحب ابراهيم." الترجمةوالصراع والحكاية"للدكتور كاظم خلف العلي "لاهوت التحرير والاسلام السياسي"للكاتب نور الفراتين عبدالعال.وفي الترجمة كتب الاستاذ علاء هاشم عن" اللغة والجنس" فيما كتب في القصة القصيرة جدا القاص علي السباعي قصص عدة وتحت عنوانات مختلفة نذكر منها:"عازف نسي عوده""قطيع الماعز""حمار ضائع""غاسل الأموات"وغيرها.وفي حقل الشعر كتب الشاعر حسام الدين نايف قصيدة تحت عنوان "موتي المبلل بافتضاض المواسم"جاءت المجلة بـ65 صفحة من القطع الوسط.

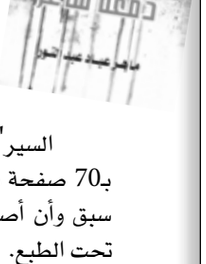

"دمعة شاعر" قصائد جديدة لماهر عياد عبد النور

عن دار الرفاه صدر للشاعر ماهر عياد عبد النور كتاب تحت عنوان"دمعة شاعر ضم الكتاب قصائد عديدة القصيدة الأولى كانت تحت عنوان "الأسمر الخجول..يبكي وطناً ليحتضن أوطانا" وهي مهداة الى المناظلة والقاصة سافرة جميل حافظ.القصائد الأخرى جاءت تحت عنوانات مختلفة منها"أرخبيل الفردوس""العطر المبحوح""المتنبي كان هناك""الوطن الكومبارس""الى امرأة""أمنيات""أوراق متعبة""تنهيدة على منصة الاعدام""حذاء يرفض السير"وغيرها من العنوانات المفارقة.جاء الكتاب بـ70 صفحة من القط الوسط.علما أن الشاعر عبدالنور سبق وأن أصدر أربع مجاميع شعرية وله خمس مجاميع تحت الطبع.

" الإقامة في جسد الشعر" إصدار نقدي جديد

للشاعرنصير الشيخ صدر كتاب نقدي جديد بعنوان "الإقامة في جسد الشعر/قراءات نقدية"،وهو مجموعة مقالات في نقد الشعر..قسم المؤلف كتابه الى قسمين: الأول تحت عنوان"تطبيقات"،تناول فيها عددا من التجارب الشعرية المؤثرة في المشهد العربي واعني بهما"محمود درويش وبدر شاكر السياب"،وجاءت قراءة المؤلف لهما ذات منحى تحليلي بغية الوصول الى اضاءة المناطق الجمالية في قصائدهما..ثم تناول عددا من الشعراء العراقيين المعاصرين في قراءة مستفيضة لشعريتهم مع اضاءات للمنطقة الكتابية لكل واحد منهم ومن ثم كيفية الاشتغال الشعري لديهم. وجاء القسم الثاني تحت عنوان "مهاد نظري" ضم مفهوم المؤلف الشاعر عن الشعر وعوالمهُ الفسيحة،لغة وأداء وتاريخا. الكتاب جاء في واحد وتسعين صفحة من القطع المتوسط، وهو من اصدارات اتحاد ادباء وكتاب ميسان.

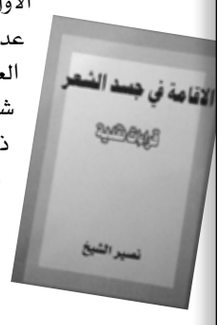

عدد جديد من مجلة "قضايا إسلامية معاصرة"

صدر عن مركز دراسات فلسفة الدين العدد 55 و56 من "مجلة قضايا اسلامية معاصرة، الذي تتصدره دراسة عنوانها "الايمان الوجودي وديانة الضمير الفردي "لـ سورن كيركورد (1813 – 1855) بمناسبة مرور مائتي عام على ولادة الفيلسوف الدانماركي. ملف شارك فيه نخبة كبيرة من الباحثين منهم رئيس التحرير د.عبد الجبار الرفاعي، د. قحطان جاسم، بعنوان "سورن كيركورد ومسألة الفرد والايمان" ودراسة الدولة المسيحية، نص لكيركورد. وكتب د. حسن يوسف طه عن "الحب والايمان عند كيركورد" و "العقيدة وجدلية الوجود عند كيركورد" للباحث هيرمان ديم. وكتب ستيفين ايفانز "حب الذات والجار" – "النزعة الايمانية عند كيركورد" لـ رضا اكبري. وكذلك دراسة بعنوان "الموت واليأس عند كيركورد" د. عباس اسكوتيان. وكتب رئيس التحرير د. عبد الجبار الرفاعي تقديراً لمكانته واهمية منجزه قائلاً: " يرسم كيركورد ثلاث مراحل لذات الانسان وتطورها في مدارج الكمال والمثل في الحضرة الالهية، كذلك يرسم المتصوفة والعرفان مقامات ثلاثة في بيان مدارج السير والسلوك الى الله".جاء العدد بـ 248 صفحة من القطع الكبير.

صدور رواية "جحيم تحت الثياب" للكاتب خالد ساحلي

الطريق الثقافي- خاص

عن وزارة الثقافة الجزائرية صدر عن "دار ميم" المجموعة القصصية الثالثة الروائي والقاص خالد ساحلي بـ 271 صفحة من الحجم الكبير بعنوان: "جحيم تحت الثياب"، القصص نشرت في عدة صحف و يوميات وطنية و عربية منها صحيفة إيلاف و صحيفة الزمن الدولية و اليوم الأدبي و الجزائر اليوم وغيرها، قدم للمجموعة الدكتور شرف الدين شكري.ومما كتبه في حق المجموعة و الكاتب :" خالد ساحلي من الأسماء القصصية الجزائرية التي ترسم طريقها بشكل متأن، وبحذر شديد لا ينعكس على شخوص قصصه التي تحمل في كمونها جزءا منه فقط، وإنما أيضا عليه هو ذاته. يمكن اعتباره إذًا،بمثابة الصهريج الابتدائي، الذي تتربى فيه شخصيات قصصه التي ترتسم على الواقع بشكل بسيط وعادي جدا، يحيلنا دون عناء إلى نهج الأدب الواقعي بامتياز... صبرٌ كبير يربط أغلب الشخوص إلى نهاية لا يمكن توقعها إلا عند الجملة الأخيرة من القصّة. وكذلك صبر خالد ساحلي، في خلقه لتفاصيل قصصه "الصينية" الصنعة. تتطلب قراءتها أيضا صنعة كبيرة من الصبر كي نمهل الأناس العاديين فرصة قولِ شيء ما في هذا الوجود،وبخاصة على القارئ المتمرّس الذي لا يهدأ إلا على المذهل في الكتابة".

قصور الثقافة تصدر كتاب "المرأة فى أدب العقاد"

الطريق الثقافي- خاص

صدر كتاب "المرأة في أدب العقاد للكاتب أحمد سيد محمد عن الهيئة العامة لقصور الثقافة ويقع الكتاب في 283 صفحة من القطع المتوسط ويحتوي على خمسة فصول ومقدمة التى تتحدث عن التمهيد الحركة النسائية في مصر الحديثة وعوامل نهضتها.

والفصل الأول ينابيع آرائه في المرأة المصادر الثقافية – المصادر الإسلامية – المصادر العربية والشرقية – المصادر الاوروبية – البيئة والميول النفسية – التجارب والعلاقات النسوية – مظاهر الاصالة والفصل الثاني يتناول صفاتها الجسمية والنفسية، والفصل الثالث يتضمن المرأة في الاسرة والمجتمع المرأة، ويتناول الفصل الرابع ما إذا كان العقاد عدو للمرأة أم صديق دعوة عدائه للمرأة ولماذا لم يتزوج. ويتناول الفصل الخامس أسلوب العقاد وأثر المرأة فيه، ودلالة اسلوبه على شخصيته وأثر المرأة في أدبه، فكرة وأسلوبا .

ضوء

50 ٪ من الكتب ستكون رقمية في العام 2020

توقع مؤشر "الناشر الذاتي" المتخصص بقياس حركة توزيع الكتب وانتشارها في عموم العالم، ان يتحول أكثر من نصف الكتب التي ستنشر في العام 2020 إلى النشر الإلكتروني، بينما ستنحسر الكتب التقليدية إلى ما دون ذلك،وتوقع المؤشر تعاظم دور الكتاب في عملية نشر أعمالهم الخاصّة وتوزيعها وتصميمها وتنسيق صفحاتها الداخلية وتنظيم حملات العلاقات العامّة، وفي المحصلة فأن أكثر من نصف الكتب التي ستصدر في العام 2020 ستكون مملوكة حقوقها لمؤلفيها بشكل مباشر، يذكر ان النسبة بلغت في العام 2013 الماضي 10 % فقط.

الطريق الثقافي

No. 89

مدير التحرير
محمد حيّاوي
m.shather@gmail.com

التحرير
ناصر قوطي
سعدون هليّل
التدقيق اللغوي
حسن القاضي

التصميم Sillat Media • للاتصال بهيأة التحرير althakafya@iraqicp.com

لمتابعتنا على الفيسبووك
www.facebook.com/altareek.althakafi

www.iraqicp.com

5 نيسان/ أبريل 2014 5 April

المعرض التشكيلي

الفنان إسماعيل خياط
الوجوه والأقنعة

خالد خضير الصالحي

كنت وما زلت اعتقد ان الرسم العراقي رسم بطيء الايقاع، ونقصد بالايقاع سرعة التحولات الشكلية والتقنية والموضوعاتية، فكان الغالبية الرسامين العراقيين يحافظون على ثوابتهم الشكلية دونما مساس، ولذلك اسباب قد تكون احيانا مرتبطة بالرغبة في ادامة النجاح الذي يحققه الرسام فيحاول المحافظة على عناصر ذلك النجاح واهمها اشكاله التي شكلها خلال سنوات من الكد والعمل المضني..

وقد يكون سبب ذلك الامساك بفرادة جوهرها تلك الاشكال، فكان العديد من هؤلاء يبلقون قدرا ليس قريلا من السمات الشكلية في تجربتهم، وهو ما يبدو اسماعيل خياط حريصا عليه فبعد ظهوره في قاعات بغداد بتقنيته المعتمدة على الاقلام الخشبية الملونة اخذ الرسام اسماعيل خياط ثوابته الاولية وبدا يرسم تلك الثوابت بمواد وان تنوعت فستبقى وفية لاصلها الاول: الالوان الخشبية؛ فهو ومنذ عقود طويلة بقي وفيا لتجربته التي بدت وكانها اثيرة لديه اكثر من أي شيء اخر..

مثلما تشكل النحت الرافديني القديم من حشود غفيرة من الدمى الناسكة في حضرة الإله وهي تنظر بعيون مفتوحة على وسعها، بفزع وخشوع في فراغ التاريخ الممتد أمامها، تشكلت تجربة الرسام الكردي إسماعيل خياط من مئات الأقنعة الصارخة الواجمة الرمداء التي فقدت القدرة على الكلام، والإبصار، وفقدت قدرتها حتى على ضبط جغرافية أشكالها، وتكنيكها اللوني؛ فغدت فورة شكلية ولونية دموية لا قرار لها، وتماما مثلما أسس النحات هيثم حسن تجربة احد معارضه على نسخة مانيكانية واحدة أجرى عليها مختلف ضروب التحويرات، والإزاحات الشكلية كل مرة؛ فبدا معرضه ذاك حشدا غريبا ومقلقا من مانيكانات ملونة مختلفة ومتشابهة في الوقت عينه، اتخذ كذلك إسماعيل خياط شكل القناع مانيكانا يستنسخه، ويعيد استنساخه، فيجري عليه ضروبا من الإزاحات الشكلية واللونية التي تمنحه كل مرة خصوصية عن أشكال الأقنعة الأخرى التي وان بدت متشابهة إلا أنها مختلفة كطبعات الأصابع المتشابهة والمختلفة في الوقت عينه.

ومثلما كان النحات الراحل إسماعيل فتاح الترك، يصرّف بعض شحناته من خلال الرسم، عبر ما يعتقده الكثيرون وجوها بشرية يتخذها مانيكانات يمارس بها وعليها مهاراته التعبيرية في الرسم، فإن إسماعيل خياط يؤسس تجربته الان على اشتغال مهووس ومنظم بتجارب يجريها ضمن حدود جغرافية الأقنعة "وهي ذاتها جغرافية اشكال وحدود لوحاته" التي يرسمها دون مخططات مسبقة، فكانت وجوها تسيح في اتجاهات شتى دونما ضوابط إلا إحساس الرسام، وتماما مثلما اتخذ الرسام علي طالب جغرافية "الوجه" الجانبي "البروفيل" شكلا للوحة، اتخذ إسماعيل خياط شكل "القناع" الأمامي هندسة لشكل اللوحة فكانت رؤيا سوداء ومأساوية لذكريات تجمّعت لوجوه محروقة سوداء تحولت بفعل فضاعة الماساة والاحتراق الى اقنعة تخفي الوجوهُ مأساتها خلفها، مجاميع اقنعة سكنتها المأساة وتركت المجازر ندوبَها عليها، فكانت فورانَ ذكريات أيام عصيبة عاشها الكورد، ومجازر تعرضوا لها، وأعنفها وأشدها قسوةً حلبجة والأنفال، والحروب الطويلة.

كان إسماعيل خياط يوزعها كائناته على سطوح لوحاته فيما مضى فإذا به الان يتجه الى تجسيدات تلك الكائنات عبر وجود شيئي منفصل عن تعيناتها الشكلية التشخيصية وعن دلالاتها السردية، فكانت تبدو وهي تتوزع على سطح أقنعته وكأنها عودة إلى تلك المادة الأولية الهيولانية، تبدو عناصر الموضوع وكانها قد تركت فجوة دونما مساس يغير جوهرها؛ فكانت تظهر الأشكال والموجودات بشكل يعطي إحساسا بأننا، وجها لوجه، أمام المادة الغفل "=الجوهر الأول" وهي في طور تمازجها الأولي بالشكل، في مزيج أسميته مرة "العماء الشكلي".

إسماعيل خياط ـ سيرة ذاتية

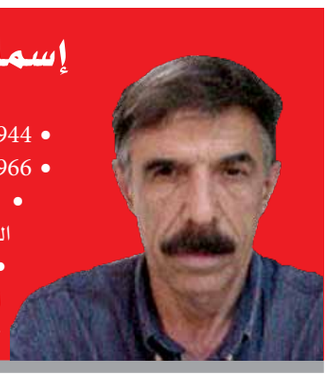

- 1944 ولد في خانقين.
- 1966 تخرج في دار المعلمين الابتدائية – بعقوبة.
- 1965 - 2007 اقام 45 معرضا شخصيا داخل العراق "بغداد – السليمانية – اربيل - كركوك".
- 1965 - 2007 اشترك بـ "60" معرضا داخل العراق وخارجه "روسيا - اوربا الشرقية – سويد – فرنسا – هولندا – سوريا - أردن".
- 1965 عضو جمعية التشكيليين العراقيين.
- 1967 - 2007 عمل في النشاط المدرسي في مدينة السليمانية مشرفاً للفنون التشكيلية.
- 1980 عضو الرابطة الدولية للفنون التشكيلية.
- 1992 - 1998 مدير دائرة الفنون التشكيلية في وزارة الثقافة - اقليم كردستان العراق.
- 2004 - 2007 اقام معارض شخصية "باريس. ظهران. لندن. بروكسل. نيويورك. اوسلو - عمان".
- 2004 مُنح جائزة الابداع في مجال الفن التشكيلي من قبل حكومة كردستان العراق.
- تناول النقاد العراقيين اعماله الفنية في كتابات في الصحف والمجلات العراقية والصحافة الكردية.

تفرغ للفن بعد تقاعده من الوظيفة.

إضاءة

المثقف والاستبداد

لا يحتاج الباحث والمثقف المدقق في المسألة الثقافية عناءٍ كبيرا لكي يكتشف عمق الازمة في المرحلة الراهنة. والسؤال اذاً ؟ هل يمكن أن تزدهر الظاهرة الثقافية في ظل الاستبداد، ونحن نجد الكثير من الأعمال العظيمة التي كتبت في أحلك عهود الطغيان، فكثيرا ماكان الظلم حافزا في تفجير الطاقات الابداعة للمثقفين ورجال الفكر التنويري. ان مايحدث الان في عالمنا العربي ليس فقط حالة غياب الديمقراطية، بل يأس من امكان وجودها، اذ أ ن هناك علاقة بين الديمقراطية والابداع، وان العلاقة بينهما وثيقة، ونحن نرى أن الديمقراطية هي أفضل وسيلة عصرية لمواجهة السلطة والديكتاتورية، كما انها أفضل الية لضمان تداول السلطة وتطبيق الحريات ومحأربة الفساد،واليوم لايمكن السكوت عن التردي الذي يحدث في عالمنا العربي من انتشار الحركات الاصولية وتوسيع ظاهرة العنف السياسي، فالسجال الطويل الدائر بين من يعتقد ان الانسان شرير بطبيعته،كما يزعم الفيلسوف توماس هوبز،ومن يعتقد ان الانسان كائن اجتماعي كما يرى فولتير وماركس وغيرهما من الفلاسفة العقلانيين فالاصؤلين لايؤمنون بالديمقراطية التي جوهرها الاعتراف بالاخر،وبالتالي يجب ان تتم التعبئة العامة للمثقفين والمبدعين والمفكرين لتسير كل خطانا بعمل موحد ضد الثقافة الطائفية والمحاصصة المقيتة، وظاهرة الارهاب الذي أخذ يتوسع بشكل غير معقول وأصبح جزءا من وعي زائف في بنية المجتمع العراقي،خاصة ونحن نرى الثورات التي تنبثق ضد الديكتاتوريات العربية التي قادها الشباب المتنور والمتمرد،ولهذا فقد تأخرنا نحن العراقيين كثيرا عن اكتشاف حقيقة هذه العوامل التي كانت ومازالت،"قاطرة التاريخ العمياء" لان هذه القاطرة هوجاء وعارية من أية قيمة أخلاقية وانسانية، واذا تحدثنا عن الثقافة لن ندخل في متاهات المصطلحات والتعريفات والشروح الكثيرة التي تضج بها أدبياتنا المعاصرة، ومعنى ذلك أن الثقافة توجد حيث يوجد الاءنسان، وهذة الثقافة لاتنمو الابنمو النقد للواقع الاجتماعي،واظن ان هذا لا يتم الا اذا توفرت له الحرية والديمقراطية،ومن هنا يحق لنا التساؤل، ان اعاقة الثقافة تعني اعاقة التنمية وتدمير الوسط الذي يزدهر فيه الابداع.واذا تكرست هذه الحالة فمعنى ذلك انه لا الشاعر ولا الروائي ولا غيرهما من المبدعين يستطيع أن يواصل ابداِعة، فالكل سيسقط في العبث والعدمية.فاذا اردنا انسانا جديداً،علينا أن نسعى من أجل تغيير الواقع وسوف تأتي الثقافة الابداعية من حياة معنوية وأخلاقية جديدة. بالمسؤوليةالكلية الشاملة للشعب بأسرها،وما الثقافة الا جانب من جوانبها، فالكفاح في سبيل الثقافة الوطنية انما هوكفاح في سبيل الحرية ". أذا مهمة المثقف الآن استثنائية ومزدوجة محملة بالكثير من المسؤوليات والهموم وهوليس مخولا بالتنازل عن حلم الحرية،فنحن نعتقد أن المثقف العراقي شأن المثقفين في العالم العربي يحمل مسؤولية متعددة الجوانب،انها مسؤولية الحياة والمجتمع،اننا محكومون بالامل ومايحدث اليوم لايمكن أن يكون نهاية التاريخ. وان اراد ان يظل مثقفا علية علية ان يبحث عن مثقفين في المجتمع ويؤمن بوحدة التجديد والاختلاف ومن ثم فأن أزمة المجتمع انما تكمن في أزمة المثقفين، نستنتج من ذلك ان الثقافة هي تعبير عن تراكمات تتداخل فيها أفعال متنوعة وليس من باب المصادفة ان تلجأ القوى التسلطية القائمة في العالم العربي والعراق بشكل خاص الى تعميق ظاهرة ترهيب المبدعين ، وصولا الى قتلهم أو تهجيرهم أو سجنهم أو ارغامهم على السكوت بوسائل الترغيب والترهيب. وقد وصف الكواكبي في كتابه: "طبائع الاستبداد "مانصه: الاستبداد ان كان رجلا وأراد ان يحتسب وينتسب لقال،أنا الشر وابي الظلم،وأمي الاساءة وأخي الغدر وأختي المسكنة، وعمي الضر، وخالي الذل، وابني الفقر، وابنتي العاطلة ووطني الخراب وعشيرتي الجهالة.

سعدون هليّل

أثار غضباً في إيطاليا

إعلان يصور تمثالاً لمايكل انجيلو يحمل بندقية

الطريق الثقافي- خاص

أعرب وزير الثقافة الايطالي عن غضبه ازاء اعلان لشركة سلاح امريكية يصور تمثال ديفيد لمايكل أنجلو يحمل بندقية.وقال داريو فرانسيشيني إن الاعلان مسيء ويخرق القانون.ونشر عدد من مواقع الانترنت الايطالية صورة الاعلان الذي يصور ديفيد يحمل بندقية.ويحمل الاعلان، الذي يروج لسلاح من إنتاج شركة آرملايت الامريكية، شعار "عمل فني" ليصف البندقية التي تبلغ قيمتها ثلاثة آلاف دولار.ودعا فرانسيشيني الشركة لسحب الاعلان.وقال في تغريدة على شبكة تويتر للتواصل الاجتماعي "صورة ديفيد مسلحلا مسيئة وتخرق القانون. سنتخذ إجراء ضد الشركة الامريكية حتى تسحب حملتها على الفور".ورفعت مديرة مجلس التراث التاريخي والفنون كريستينا اسيديني دعوة قضائية ضد ارملايت لسحب الصورة قائلة إنها تحرف عملا فنيا.وتقول الحكومة الايطالية إنها تحمل حقوق النشر لاستخدام صور تمثال ديفيد في الدعاية.وقال أنغيلو تارتوفيري مدير معرض اكاديميا في فلورنسا، حيث يعرض التمثال، لصحيفة ريبوبليكا "القانون ينص على انه لا يجب تحريف القيمة الجمالية للعمل"وأضاف "في هذه الحالة ليس الاختيار غير لائق فحسب، بل غير قانوني ايضا".ونحت مايكل أنجلو التمثال المصنوع من الرخام بين 1501 و1504 ويعد من أشهر أعمال عصر النهضة.

الصور AFP

تمثال مايكا انجيلو الشهيريحمل بندقية اميركية الصنع.